كوستي بندلي



وَمَعناه الانساني

طبعة رابعة منقحة ومزادة

منشورات النور

مقتطفات مما كتبه الاستـــاذ يوسف الخال
عن كتاب «الجنس ومعناه الانساني» في طبعته الاولى

« ... من حسن حظ القارىء العربي ان يصدر كتــاب في « الجنس ومعنـــاه الانساني » ، لكوستي بندلي ... وجدت نفسي امام عقل راسخ في معرفة الأسس والاصول ، متحرر من التزمت والتقليد ، منفتح على التيارات المعــاصرة في مجمــل تناقضها (...) .

« وكم افادني كتابه هذا عن الجنس . فمنه تعلمت مرة اخرى ان الجنس (...) ليس حاجة بيولوجية بحتة (...) وهو ، اذن ، لا يهدف الى ازالة توتر عضوي فقط . انه « وصال » و « جماع » مع الآخر ، يزيل العزلة التي يشكو منها الانسان ابدا (...) .

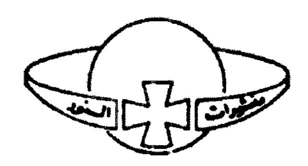
« وتعلمت ايضا ان « تحريــر » الجنس في المجــون المعــاصر مــا هــو الا « عبودية » اقسى من عبودية الصمت والجهل والخوف (...) وكيف لا يكـــون ذلك حين يبطل الشخص الآخر ويصير التركيز على اللذة الجنسية والتهالك عليها كميــة وتفننا ، لا نوعا وعاطفة . وهنا يدب السأم والفراغ (...) .

« وتعلمت من الكتاب ان الحب لا يبطل العلاقة الجنسية ، لكنه وحده يجعل منها « وصالا » لا احتكاكا خارجيا بين عزلتين متقابلتين (...) وما العفة ســـوى الحرص على ان يحتفظ هذا اللقاء بمرماه الاتحادي (...) فالعفة ليست سلبيــة تعني ، بالمفهوم التقليدي الموروث ، الخوف من الجنس ، والنرجسية ، والكبت بجميع معانيه وابعاده . فما هذه الا عفة زائفة (...) .

« وتعلمت آخرا ، وهو الأهم ، ان الجنس سعي الى المطلق عن طريق الحب الذي فيه يتبلور الجنس ويتسامى (...) على ان المطلق لا يدرك بالحب الــذي يستقطبه (...) لذلك لا يقترن الحب بالسعادة فقط ، بل بالكآبة والحنين ايضا . وهنا يجيء دور الله . فهو « المشتهى بالحقيقة » كما تقول طقسية بيزنطية ، واليــه تسعى في آخر المطاف حركة الجنس عند الانسان (...) .

« وبايصالنا الى الله ، ينهي كوستي بندلي رحلته البهيجة الهائلة في مجاهــل الجنس وآفاقه الرائعة .

« وهي رحلة فريدة في نوعها ، على الاقل في تراث اللغة العربية » .



الفهرس

الصفحة

الصفحة

الفصل الثالث

العفة كمحافظة على إصالة الجنس

البحث في الحب كتحقيق لمرمى الجنس الاتحادي يقودنا بصورة طبيعية الى طرح موضوع العفة من منظار مختلف عن ذاك الذي يُطرح منه عادة . فالعفة تُعتبر عند الكثيرين ، سواء أكانوا مناصرين لها او مضاديها ، موقفاً سلبياً في جوهره ، موقف امتناع . واللفظة المستعملة نفسها تدعم هذا التفسير وتغذيه : فعبارة « عفة » مشتقة من « عفّ » عن الشيء اي امتنع عنه . ولكن هذا المظهر السلبي – الذي هو بلا ريب من مظاهر العفة – بعيد عن ان يَستنفد معانيها او يعبر عن جوهرها الاصيل[1] . هذا الجوهر لا يتضح الا اذا نظرنا الى العفة من خلال الحب الذي هو اكتمال الجنس الانساني . فالعفة مرتبطة بالحب ارتباطاً وثيقاً ، وقد سبق ان حاولنا ايضاح ذلك في بحث كتب سنة ١٩٥٨ ونشر سنة ١٩٦٣ في مجلة « النور » البيروتية[2] . اذا شئنا ان نحدد العفة في هذا المنظار قلنا انها السلوك الذي يحفظ للجنس اصالته الانسانية[3] وذلك بالحرص على ممارسته في خط الحب وفي هذا الخط فقط . العفة اذاً ايجابية بطبيعتها ، اذ انها عملية ربط الجنس بالحب ، انها الحرص على ان يبقى الجنس محافظاً على مرماه الانساني والاتحادي . صحيح ان هذا الموقف الايجابي الاساسي يقتضي اتخاذ بعض المواقف السلبية ، ولكن هذه الاخيرة تابعة عن الاول ومترجمة له . فمن اختار طريق الحب ، عليه ان يرفض ما سواه اخلاصاً منه للحب ولطبيعة الجنس الاصيلة التي يعبر الحب عنها . ان ما ترفضه العفة انما هو ، في آخر المطاف ، نقيض الحب ، اي التملك ، اعتبار الآخر شيئاً يُستولى عليه بغية الاستمتاع . بهذا المعنى يقول جان كلود بارّو ان العفة هي « مفتاح الاستعمال الصالح للجنس لأن فيها رفض كل تملك »[4] . قد يبدو رفض التملك

هذا افتقاراً ، ولكن هذا الفقر الاختياري هو الباب الذي به وبه وحده يلج المرء الى غنى الحب . من اغلق يديه في موقف استيلاء لا يقبض الا على الريح ويبقى اسير عزلته ، اما من فتح يديه في موقف العطاء ، فهذا يدخل في خبرة المشاركة التي بها يتحقق شخصه ويكتمل . انه ينتقل من عالم التملك (avoir) المغلق الى عالم الكينونة (être) الذي لا حد له[5] . انه بتجاوزه فرديته المنكمشة ، البخيلة ، يطلق شخصه من عقالاته[6] . العفة مظهر من "مظاهر تلك القاعدة العامة التي بموجبها لا ينمو المرء الا بتضحية يبذلها ، على حد تعبير الفيلسوف المعاصر لويس لافال[7] .

ولكن العفة التي نصفها على انها اصالة وتحرر وغنى ، انما هي العفة الحقة . ليست كل عفة عفة حقة . كثيراً ما يخلط الناس بين الامتناع عن العمل الجنسي وبين العفة . والحق ان هناك ممارسة عفيفة للعمل الجنسي كما ان هناك امتناعاً عنه لا يمت الى العفة الحقة بصلة[8]. لذا اقتضى ، من اجل ايضاح معالم العفة الحقيقية ، ان نميزها عن العفة الزائفة .

اولا – العفة الزائفة

فكثيراً ما تُطلق عبارة العفة جزافاً على تصرفات غريبة بالفعل عن روح العفة الاصيلة ، تصرفات تعبر عن خوف من الجنس او تصدر عن كبت .

١ – الخوف من الجنس

كثيراً ما تُعزى الى العفة مواقف نابعة بالفعل الى حد بعيد من الخوف من الجنس[٩]. قد يبدو لأول وهلة غريباً ان نتحدث عن خوف من ميل طبيعي كالجنس . ان الاعتقاد الشائع بهذا الصدد ان خوفاً كهذا ، عندما يوجد ، انما هـو وليد بيئة اجتماعية وتربية عائلية تحاولان خنق حيوية الفرد . ولكن هذا التفسير ، وان كان مقبولاً الى حد ما ، ليس كافياً البتة . انه على كل حال لا يبيّن لنا سبب تهالك بعض البيئات الاجتماعية والعائلية على قمع الجنس عند افرادها . الموضوع اعمق اذاً من مجرد اصطدام الفرد وميوله بمجتمع ضاغط ، خانق . فالصراع بين الانسان والمجتمع ، خاصة في هذا الميدان ، يعبر عن انقسام بين الانسان ونفسه[١٠]. يقول فرنسوا دويكارتس بحق : « ان الصراع في الكائن البشري ، خاصة من ناحية الجنس ، لا يجري فقط في منطقة الحدود بين الذات والعالم الخارجي ... انه يجري ايضاً في داخل الفرد »[١١]. وقد كتب المحلل النفسي الدكتور دلبيير : « ان ازدواجية الانسان تجاه الحياة الجنسية يعبر عنها التعايش فيه بين كراهية للجنس ورغبة عنيفة فيه »[١٢].

تلك الكراهية للجنس المتأصلة في اعماق الشعور الانساني انما هي نابعة من الخوف . ولكن ما هي دوافع هذا الخوف من الجنس الذي يعتري كل انسان في عقله الباطن ، فيتجاوزه البعض فيما يصبح عند البعض الاخر طاغياً ، مكبلاً ؟ تلك الدوافع متعددة ومتشابكة ، يضيق بنا هنا المجال لعرضها بشكل وافٍ[١٣] ، لذا سنوجزها بما يلي :

خط النمو كما قلنا ينطلق من النرجسية الاولى التي يتميز بها الطفل المولود حديثاً حتى يصل ، من خلال انفتاح تدريجي ، الى لقاء حقيقي بالاخر . الا ان رواسب النرجسية الأولى لا تزول بالكلية بل يبقى قسط منها ، يكثر او يقل ، في نفسية الراشد نفسه . وبما ان تلك الرواسب مدفونة في العقل الباطن بصفتها بقايا ماضٍ سحيق ، فأنها تؤثر في السلوك بصورة لا شعورية الى حد بعيد . واذا قوي تأثيرها ، فقد يشعر المرء بشكل غامض ان اتصاله بالاخر انما هو انتزاع له من تلك القوقعة التي هو مطمئن لها اطمئنان الجنين في بطن الوالدة ، وتهديد لتلك الاكتفائية التي يحس بموجبها انه محور الكون[14]. يشعر ان دخول الاخر في نطاق أناه خطر عليه[15] لأنه يضطره الى اقامة الحساب لهذا الآخر ويزعزع بالتالي محورية الأنا الطفلية التي لا تزال مرتكز شخصه . وبما ان الاتصال بالآخر الاكثر صميمية هو الاتصال الجنسي[16] ، لذا يسود امرأ كهذا خوف غامض من الجنس يتستر بشتى الاقنعة ويجد لنفسه شتى المبررات . وقد يلجأ هذا المرء الى القيم الخلقية ، فيتذرع باجلال زائف لفضيلة العفة ليخفي ، عن نفسه اولاً ، عجزه الصميمي عن مواجهة الاخر[17].

ب – الخوف من الانوثة عند الذكور

هناك عامل آخر في العقل الباطن ، يُنشىء خوفاً من الجنس الا وهو الخوف من المرأة عند الذكور . هذا الخوف قد يتستر

على صعيد الوعي بذرائع مختلفة ، منها اعتبار المرأة خطراً على الفضيلة او على الرجولة والصاق شتى التهم بها . امـا مصدره العميق فكثيراً ما يكمن في العلاقة الاولى التي تقوم بين الطفل وأمه . ذلك ان الام ، اياً كان حنانها ، لا يمكنها ان تلبي كل حاجات الطفل وان تلبيها فوراً . لذا لا بد ان يصدر عنها حرمان لطفلها يثير عنده نزعة عدوانية تجاه والدته تختلط بحبه لها[18]. ولكن تلك النزعة العدوانية ترتـــد على الطفل نفسه . فعدوانه على الام يبدو له بمثابة عدوان الام عليه ، اذ لم يتوصل بعد الى التمييز بين شخص الام وشخصه[19]. هكذا تبدو له في شعوره مزدوجة ، « اماً طيبة » تمنحه الطعام والحنان والامان ، و « اماً شريرة »[20] (تلك التي تظهر في الاساطير بشكل ساحرة مرعبة مثلاً) معتدية وفتاكة . وبما ان صورة الام هذه ، كما تتكون في الطفولة ، تحدد لا شعورياً الى حد بعيد علاقة الرجل بالكون عامة وبالنساء بنوع خاص ، فقد ينتج عن طغيان صورة « الام الشريرة » ، خوفاً من الانوثة عامة[21] قد يدفـــع بدوره الى الامتناع عن الاتصال الجنسي ويوجـــد لنفسه شتى المبررات ، بما فيها تملق زائف بالعفة[22].

ج – رفض الانوثة عند الاناث

اما عند الاناث ، فهناك عامل يلعب دوراً هامـاً في تغذية الخوف من الجنس ، الا وهو رفض الانوثة الذى تمتد جذوره الى الطفولة المبكرة . ذلك ان البنت عندما تكتشف حـوالى الثالثة من عمرهـــا الاختلاف بين الجنسين ، تصدم ، كما بيّن

فرويد ، لعدم وجود عضو الذكور في جسدها ، وتتوهم بالتالي ان جسدها مبتور ، ناقص[٢٣]. هذا الشعور بالنقص يتخذ بالطبع كل ابعاده بتأثير العوامل الاجتماعية التي تعطي الاولوية للرجل معتبرة المرأة « الجنس الثاني » ، حسب تعبير سيمون دي بوفوار ، ذاك الجنس الذي لا يحدد الا بالاضافة الى الرجل وحاجاته . اذا اضفنا الى ذلك الطابع العدواني الذي يتخذه الاتصال الجنسي بالنسبة للمرأة على الصعيد الجسدي[٢٤] وكونها تتحمل كل العبء البيولوجي لوظيفة التناسل ، بما في ذلك من دورة شهرية وحمل ووضع وارضاع ، ادركنا كيف انه قد ينشأ عندها رفض ، يبقى الى حد ما لاشعورياً ، لتلك الانوثة المعاشة كجرح وعبء وقيد[٢٥](هذا ما دعاه المحلل النفسي شارل بودوان « مركب ديانا » نسبة لاسطورة الالهة ديانا ابنة جوبيتر[٢٦]) وبالتالي خوف من الجنس الذي فيه ممارسة لتلك الانوثة الساحقة . وقد تصبح العفة عند ذاك ذريعة للهروب من تلك الممارسة[٢٧].

د ـ مركب اوديب

سنذكر اخيراً بين الاسباب الانفعالية التي تفسر الخوف من الجنس تلك الخبرة التي اظهر فرويد على انها اساسية في تكوين الشخصية ، الا وهي خبرة مركب اوديب . هذا المركب يلعب دوراً هاماً في تمهيد الطريق امام الحب الانساني الكامل الذي سوف يصبح ممكناً بفضله فيما بعد ، ذلك انه بمثابة اختبار اول لهذا الحب وتمرس عليه[٢٨]. ولكن مركب اوديب لا يلعب هذا الدور الايجابي الا اذا كان مجرد مرحلة انتقالية يتجاوزها

النمو . اما اذا لم يتم هـذا التجاوز ، فالمركب يتحول الى « عقدة » تجمّد الى حد ما حـركة النمو العاطفي وتسبب للشخصية اضطرابات وانحرافات شتى . وقد يكون الخوف من الجنس احدى تلك النتائج الوخيمة . ذلك ان مركب اوديب يجمع بين المتناقضات : فالمعشوق الاول (الام بالنسبة للطفـل والاب بالنسبة للطفلة) هو موضوع تحريم بآن ، اما السلطة التي تحرمه فهي سلطة المنافس الوالدي ، وهي تبدو سلطة لا محدودة ومرعبة لان الولد في هذا العمر يتصور والديه على انهما كائنان شبه الهيين ، يتمتعان بكمالات لا متناهيـة[٢٩] . السبيل الطبيعي لتخطي هذا التناقض بين الحب والتحريم هو ان يتخلى الولد عن المعشوق الأوديبي ريثما يقيم فيما بعد ، اذا تم نضوجه ، علاقـة حب شبيهة بتلك التي تخلى عنها . اما اذا لم يستطع الطفل ان ينجز هـــذا التخلي ، وبعبارة اخرى اذا بقي في قرارة نفسه ، في اللاشعور ، على عشقه الأوديبي ، فسوف يعيش ميوله الجنسية فيما بعد على انها اعادة ليس الاّ لغرامه المحرّم الاول وبالتالي سوف تقع تلك الميول تحت طائلة التحريم الذي أصاب العشق الأوديبي ، مثيرة في النفس جزعاً غامضاً يحاول المرء ان يـــبرره بشتى الوسائل دون ان يعي مصدره اللاشعوري . وقـــد يقود هذا الجزع الى تجنب للجنس يتخذ أحياناً العفة ذريعة له[٣٠].

وفيما نحن في معرض الخوف من الجنس ، يجـدر بنا ان نشير الى ان هذا الخوف قد لا يقود الى عفة زائفة بـــل بالعكس الى الاباحية . هناك نوع من « الهرب الى الامام » . فقد يحاول المرء ان يعوض عن الجزع الذي يعتريه امام الجنس ، لا بل ان يقنع نفسه بأنه غير خائف ، وذلـــك بتهالكه على الجنس[٣١]. عند ذاك نجد تلك المفارقة وهي انه ، على قدر خوف

هذا الانسان ، على قدر ذلك يكون افراطه في النشاط الجنسي.
هذا النمط من السلوك ، لاحظته هيلين دوتش عند المراهقين .
ان يقظة الجنس في المراهقة تقترن بالجزع وذلك عائد لعدة أسباب . منها ان المراهق يجاهد من أجل الحصول على استقلاله والتحرر من تبعية الطفولة ، واذا به يُفاجأ بالجنس يبرز في جسده كوظيفة مستقلة الى حد ما عن ارادته تُشعره انه ليس سيد نفسه كما يحلم ان يكون[٣٢] . ومن جهة أخرى فالمراهقة سن يقترن فيه بروز حياة جديدة بالقلق أمام الموت[٣٣]. ولكن الجنس مرتبط لا شعورياً بالموت ، ذلك ان ظهور الجنس في تاريخ الحياة يعني ان الكائن الحي لم يعد بوسعه ان يخلد كلياً في نسله كما هي الحال عند الكائنات الحية البدائية ذوات الخلية الواحدة التي تتولد من ذاتها بانقسام الخلية الأم الى خليتين وهلم جراً ، بل أصبح مجرد حلقة في سلسلة الحياة[٣٤] . أخيراً فان يقظة الجنس في المراهقة تحرك من جديد المشكلة الأوديبية التي كانت قد خمدت حوالى السادسة من العمر ، وتوقظ بالتالي الجزع المرتبط بهذه المشكلة[٣٥] . تجاه ذلك الجزع الذي يوقظه الجنس فيه ، يتخذ المراهق مواقف دفاعية . منها ، برأي هيلين دوتش ، تلك النزعة الحديثة الى وحدة الزي بين الفتيان والفتيات ، يحاول بها المراهقون لاشعورياً ان يُغيّبوا الفارق بين الجنسين وكأنهم بذلك يختبئون من الجنس[٣٦] . ولكنها لاحظت ايضاً ان المراهق الذي يحاول لاشعورياً ان يحتمي من خطر الجنس باتخاذه شكل امرأة (بشعره الطويل)[٣٧] ، قد يحاول بآن واحد « ان يعوض بافراط عن جزعه بواسطة نشاط جنسي متحرر من كل قيد »[٣٨].

هناك مظهر آخر من مظاهر ارتباط الخوف من الجنس بالأباحية ، يبيّنه لنا الدكتور اندره برج في كتابه « التربية

الجنسية والعاطفية » . ذلك ان الخوف من الجنس قد يدفع الى الاكتفاء باتصال جنسي سطحي لا يتناول سوى الاجساد ، يحتمي به المرء من اتصال أعمق ينتزعه من قوقعة نرجسيته[39]. هكذا فقد يؤول الجزع امام الجنس – الذي هو في هذه الحال جزع أمام الاخر الذي يطبع الجنس الحاجة اليه في صميم الكيان – الى موقف تُعتبر المرأة بموجبه مجرد وسيلة لاشباع رغبة جسدية محضة[40] .

أخيراً لا بدّ لنا من التنويه بظاهرة حديثة مرتبطة بالخوف من الجنس وان بصورة عكسية ، ظاهرة تلعب دوراً لا يُستهان به في حياة معاصرينا . معلوم ان الحديث عن مرض قد يوقظ عند البعض خوفاً من هذا المرض ربما اتخذ شكل الوسواس وبالتالي أخذ يشكل بحد ذاته ظاهرة مرضية . على هذا المنوال لقد أدى تبسيط اكتشافات التحليل النفسي حول العقدة النفسية الى ظهور ما يمكن ان يُسمى « بعقدة الخوف من العقد » ، وهي عقدة أثبتت ضررها الفادح على الصعيد التربوي اذ كانت من الأسباب التي دفعت العديد من الوالدين الى التخلي عن كل سلطة ، بخلاف مبادىء علم النفس التحليلي الصحيح ، مما له أسوأ التأثير على نضوج الأولاد وعلى صحتهم النفسية[41] . هكذا كان اكتشاف الخوف من الجنس وانتشار الحديث عنه في المجتمع الحديث مدعاة لظهور ما يمكن تسميته « بخوف الخوف من الجنس » ، اذ أصبح الكثيرون يشتبهون بكل ضبط للنزعة الجنسية على انه « عقدة » ، وأصبحت العذرية بالتالي عبئاً ثقيلاً ينبغي التحرر منه بأسرع ما يمكن . هكذا لم يعد التهافت على الجنس عند الكثيرين سعياً وراء هدف يستهوي بحد ذاته بقدر ما أصبح اثباتاً يبديه المرء لذاته وللآخرين على انه لا

يخاف الجنس ، على انه غير « معقد »[42].

لقد درست هيلين دوتش هذه الظاهرة عند المراهقين طلاب الجامعات في المجتمع الاميركي الحالي . وقد لاحظت ان « الحرية الجنسية » التي تمارس في جماعات هؤلاء المراهقين تمليها الى حد على الافراد حاجتهم الى الانقياد الى قواعد الجماعة ، تلك القواعد التي يُعتبر بموجبها ان السلوك الجنسي الاباحي هو التصرف السليم الوحيد وان ما عدا ذلك انما هو سلوك شاذ « يحتاج صاحبه الى تحليل نفسي » . لذا يشعر الذين لا يرغبون في الأباحية الجنسية — وهم كُثرُ — بضيق في جـــو كهذا ، ويضطرون الى مجاراة بيئتهم ، وان لم يشعروا بحاجة حقيقية الى ذلك ، ليتأكدوا من صحتهم النفسية ويثبتوها امام الرفاق . وتروي لنا هيلين دوتش كيف كانت بعض الفتيات يأتين اليها قصد الاستشارة النفسية وهن مقتنعات بحكم رفاقهن عليهن بأنهن شاذات لمجرد كونهن ، حوالى العشرين من العمر ، لم يشعرن بعد ، رغم قبولهن العقلي لمبـدأ « الثورة الجنسية » ، بأنهن مستعدات كفاية ولهن النضج الكافي للدخول في خبرة جنسية . وقد لاحظت المحللة النفسية المذكورة خوف هؤلاء الفتيات وغمّهن من جراء الصورة التي رسمنها عـن أنفسهن بتأثير البيئة ، وارتياحهن العميق عندما كانت تطمئنهن حول صحتهن النفسية . وقد لاحظت أيضاً ان تلك الفتيات كن كثيراً ما يرفضن نصيحتها بتأجيل اختباراتهـــن الجنسية وفقاً لحاجاتهن ورغباتهن ، ذلك لأنهن كن يخجلن الى حـــد ما من عفتهن التي لم تعد رائجة ، ويفضلن ان يُعتبرن « منفسدات » على ان يُعتبرن « عذارى »[43].

ولنستعرض الآن المظهر الآخر لما دعـوناه بالعفة الزائفة الا

وهو الكبت .

٢ - الكبت

عبارة « الكبت » شائعة في مجتمعنا المتأثر باكتشافات علم النفس التحليلي ، ولكن استعمالها ، كاستعمال عبارات اخرى تعود الى الاصل نفسه ، كعبارة « العقدة النفسية » مثلاً ، يكتنفه شيء من الغموض والالتباس[٤٤]. لذا ارى لزاماً ان احاول اولاً توضيح المعاني المختلفة التي تكمن وراء استعمال اللفظة التي نحن بصددها .

اولا - الكبت بمعنى الانفصام بين الفكر والسلوك

فمن معاني اللفظة - وقد يكون هذا المعنى هو الاكثر رواجاً في الاستعمال العام - ان يراود هاجس الجنس الانسان فيمتلىء خياله بالصور الجنسية ويصبو بملء جوارحه الى تحقيق الاتصال الجنسي ، الا انه لا يجرؤ على الاقدام عليه بسبب الضغط الاجتماعي ، فيتراجع بدافع الخجل او خوفاً من العواقب من فقدان سمعته وما شابه ذلك . بالطبع هذا الانسان ليس عفيفاً ، لان امتناعه عن ممارسة الجنس ليس محافظة منه على اصالة الجنس الانساني ، انما هو ناتج عن تقصير في تحقيق رغباته. لذا فهو أباحي بفكره وان كان عفيفاً في تصرفه الظاهري . عفته خارجية ليس الا ، لانها ليست عفة الفكر والقلب والنية . الا ان المجتمع ، لسوء الحظ ، كثيراً ما يفسح المجال لظهور

هذا النوع من العفة الزائفة ، وذلك بتشدده فيما يخص المظاهر واهماله لتربية نقاوة القلب التي تعطي وحدها للسلوك اصالته .
هذا هو الرياء الاجتماعي الذي صادفه فرويد في المجتمع الاوروبي في مطلع هذا القرن ، فتصدى له بجرأة حيّة بأن تستهوي مَن كان حافظاً في قلبه صدى شجب يسوع للفريسية[٤٥] .

ان الذي يمارس هذا النوع من العفة الزائفة لا يبتعد عن العفة الحقة وحسب ، انما يتعرض للاضطراب النفسي ، لانه شخصية ممزقة بين ما تضمره وما تعمله[٤٦] . لقد قال فرويد بهذا الصدد : « ان الاثارة التي لا تؤول الى انفراج ، الامتناع القسري ، تسببان نوبات جزع »[٤٧] .

ثانياً – الكبت بمعنى التعامي عن واقع النزعة الجنسية

بمعنى آخر ، تعبر لفظة « الكبت » عن مفهوم علمي ابتكره فرويد واغنى به علم النفس الحديث . انها تترجم عبارة فرويد الالمانية verdrangung التي نُقلت الى الفرنسية بـ refoulement والى الانكليزية بـ repression والى العربية بكبت .
وفيما يلي هذا المعنى العلمي لعبارة « كبت » كما ورد في أحد المعاجم النفسية العربية :

« هو عملية لاشعورية مقتضاها منع الميول والدوافع الكائنة في اللاشعور من ان تظهر في حيز الشعور . فبدلاً من ان يقوم صراع شعوري بين الرغبة والذات ، يفر الذات فتظل الرغبة قائمة بكامل عنفوانها ولكن بعيداً من متناول الشعور .

« والكبت هو صراع نفسي عجز « الأنا » عن مواجهته

فتجاهله ، فلاذ بأعماق اللاشعور »[48].

هذا الوصف للكبت يتفق مع ما ورد في مؤلفات فرويد حول تلك الظاهرة النفسية . فقد حدد فرويد الكبت بقوله « ان جوهره كامن في هذا : ان يُبعد الشيء عن نطاق الوعي (او الشعور) »[49]. وقد وصفه بأنه محاولة للتهرب من مشكلة[50]. فعندما يحس الذات بأن نزعة ما تشكل خطراً عليه، عندما تثير تلك النزعة جزعه لاصطدامها بنزعات اخرى في الكيان ، فقد لا يجرؤ على اعتماد الحل المنطقي الوحيد الا وهو مجابهة تلك النزعة لاتخاذ موقف محدد منها ، فأما اشباعها ضمن شروط واما شجبها عند الاقتضاء ، بل يحاول ان يهرب من وجهها ، ان يجعل مسافة بينها وبينه . ولكن الانسان يقدر ان يبتعد عن خطر خارجي ، أما اذا كان هذا الخطر كامناً في داخله ، فأنّى له ان يبتعد عنه ؟ لذا يلجأ الى حلّ وسط بين الهرب والمواجهة[51]، وهو ان يتعامى عن وجود النزعة الخطرة فيه[52]. لقد بيّن فرويد في النصوص المنوه بها اعلاه وغيرها ان ذلك الموقف انما هو طفلي في أساسه . انه موقف الذات الطفلية التي لم تكتسب بعد قوة كافية (مثلا بسبب عدم اكتمال النضوج العقلي) لمواجهة المشكلة مواجهة واعية وقول كلمة الفصل فيها[53].

الكبت بهذا المعنى الفرويدي ليس العفة ، لان النزعة الجنسية تبقى فيه على حالها[54]، غير مهذبة ، غير مصقولة ، لانها أبعدت عن مركز الشخصية ولذا لم يعد بوسعها ان تتفاعل مع الطاقات الايجابية الكامنة في تلك الشخصية ، بل أصبحت فيها جسماً غريباً له استقلاله[55]، يتصرف بموجب نواميسه الخاصة بمعزل عن مراقبة الملكات الانسانية العليا[56]. كل ما في الأمر ان الانسان

يتجاهل وجود تلك النزعة فيه ، عملا بسياسة النعامة ، هارباً من الصراع بشكل طفلي عوض ان يجابهه مجابهة راشدة ويجد له حلاً يليق بالانسان . تبقى النزعـــة الجنسية مستترة في العقل الباطن ، متسمة بطابعه ، وهو الطابع الطفلي ، النرجسي ، طابع ما لا يعرف قاعدة سوى اللذة ولا يقيم وزناً للعقل والقيـم والشخص الآخر . ولكن تغييبها لا يحذفها من الوجود[٥٧]، كما ان غياب الصياد عن نظر النعامة عندما تدفن رأسها في الرمل لا يلغي وجوده الفعلي ، انما يستمر الصراع بشكل خفي[٥٨]. تحاول النزعة المكبوتة — وهي لا تزال « في كامل عنفوانها » — ان تعبّر عن ذاتها ، ان تبرز الى صعيد الشعور ، فتصطدم بالقوى الضاغطة التي تستخدمها الذات لا شعورياً للحؤول دون تسرب النزعة المكبوتة اليها . هكذا يؤول تغييب الصراع الى تخليده ، فينتج عن ذلك تجميد طاقات كبرى كان بامكانها ان تغذي وتنمي الشخصية [٥٩] . فمن جهة تذهب القوى الكابتة سدى لانها لا تحل المشكلة ، ومن جهة أخرى تضيع الطاقات الايجابية التي كان بالامكان استمدادها من النزعة المكبوتة لو تعهدهـــا المرء عوض تغييبها[٦٠]. فالجنس يحمل في ذاته طاقة الحب ، لذا يؤول رفضه بالكبت الى تعقيم تلك الطاقة في الانسان ، مما يؤدي الى الانطوائية والشلل العاطفي[٦١]. كل ذلك يضعف الحيوية والانتاج والقدرة على الاتصال الفعلي بالآخرين ، وفي آخر المطاف ، يضر بالحياة الخلقية والروحية نفسها اذ يقطع عنها زخم الغريزة الذي يغذيها — كما تغتذي الشجرة من التربة — ويحكم عليها بالشكلية والرتابة والجفاف[٦٢] .

ان الذين يرفضون على هذا المنوال ان يواجهوا النزعة الجنسية فيهم مواجهة حية وليس مواجهة كلامية وحسب (لان مواجهة

محض عقلية وكلامية لا تفيد في هذا المضمار) ، لا يدركون وضعهم هذا ، لان الكبت عملية غريزية ، لاشعورية الى حد بعيد . وقد يعتقدون بأن المشكلة الجنسية غير واردة بالنسبة اليهم او بأنهم حلّوها بشكل نهائي ولم يعد لها من أثر . الا ان ظواهر متنوعة تكذب تلك الطمأنينة الزائفة التي يخدرون بها أنفسهم . فأن قيام المشكلة كاملة فيهم ينكشف بسهولة لمن هم حولهم وان كان الاشخاص المعنيون غافلين ، او بالاحرى متغافلين ، عنها . فقد يرتاع مثلا هؤلاء الناس لمجرد ذكر الجنس في حديث يسمعونه او في كتاب يطالعونه ، او يستولي عليهم اضطراب شديد اذا وقع تحت نظرهم او سمعهم شيء يمكن ان يكون له فعل اثارة جنسية . هذا الارتياع امام كل ما يمت بصلة – قد تكون بعيدة احياناً – الى الجنس ، قد يبدو للذين يحسون به ذروة العفة ، وقد يُخدع به احياناً بعض من حولهم ، فيمتدحون عفتهم المرهفة . الا ان التحليل النفسي علمنا ان كل رد فعل مفرط قد يخفي موقفاً لا شعورياً قوياً على نقيضه . هذا ما أدركته الحكمة الشعبية بحدسها عندما قررت ان « الزائد أخو الناقص » . على ضوء هذا المبدأ الاختباري ، الذي أيده علم النفس التحليلي ، يظهر ارتياع بعض « الاعفاء » امام كل ما يمت الى الجنس بصلة ، على انه تعبير عن هوس لا يمكن لأصحابه ان يضبطوه او يتجاوزوه لانهم متعامون عن وجوده فيهم[٦٤]. هذا الهوس الجنسي يزداد حدة لأقل اثارة جنسية ويوشك عند ذاك ان يبرز الى صعيد الوعي ، مما يُنتج شعوراً غامضاً بالخطر يعبّر عنه بهذا الارتياع الذي تحدثنا عنه .

ومن جهة أخرى يتجلى فشل الكبت في حل المشكلة التي تثيرها النزعة الجنسية ، بظهور تلك النزعة المكبوتة بأشكال

مستترة ، ملتوية ، تتخطى بفضلها حواجز الكبت فتعبر عن ذاتها وتوجّه السلوك دون ان يدري صاحبه بأنه يعمل بوحي منها[٦٥]. تقول المحللة النفسية ماريز شوازي : « لقد تعلمت من فرويد انه بقدر ما يشتد كبت موقف ما ، تزداد تعابيره غير المباشرة قوة »[٦٦]. كثيرة هي التعابير غير المباشرة للنزعة الجنسية المكبوتة اشدها خطورة انما هي عوارض المرض النفسي[٦٧](névrose) بأشكاله المتنوعة ، الذي يعود أصله الى صدمات الطفولة وأزماتها المستعصية ، ولكن ، حتى اذا لم تبلغ الأمور الى هذا الحد ، فهناك اضطرابات مختلفة في السلوك تشير الى « عودة ما كُبت » بشكل خفي ، مقنّع[٦٨]. منها مثلا الاهتمام الزائد بالحوادث الجنسية والمشاكل الجنسية عند الآخرين[٦٩]، اهتمام يتذرع بشق المبررات ، كمساعدة الغير او الدفاع عن الفضيلة ؛ وفي الحالة الاخيرة كثيراً ما يتخذ هذا الدفاع طابعاً عنيفاً ، عدوانياً ، علماً بأن هذا العنف وهذا العدوان موجهان بالحقيقة ضد النزعة الجنسية الكامنة في شخص صاحبها ، تلك النزعة التي أثار تعبيرها غير المباشر نفسه شيئاً من الجزع وبالتالي استدعى ردعاً عنيفاً حُوّل صوب الآخر بعملية لا واعية (projection)[٧٠]. وكثيراً ما تتحول النزعة الجنسية المكبوتة الى عشق للذات قد يتجلى بشكل كبرياء حادة او روح تسلط خانق للغير او طمع مفرط في الكسب او بخل شديد . يحلل الاستاذ رمسيس نجيب بدقة في كتابه « أسئلة الشباب حول العفة » بعض هذه العوارض المعبرة بشكل غير مباشر عن النزعة الجنسية المكبوتة ، فيذكر منها اثارة الشغب والانشغال بالتوافه وحب السيطرة والقسوة على الآخرين[٧١] .

وقد تصل النزعة المكبوتة الى حد تحطيم الحواجز في بعض

الظروف وتبرز عند ذاك بشكل جامح ، مدمّر . عندنا صورة معبرة عن ذلك في رواية للكاتب المعاصر الكبير جوليان غرين ، يصور لنا فيها شاباً مكبوتاً يحاول قدر استطاعته ان يتجنب مجابهة النزعة الجنسية التي أيقظتها المراهقة فيه ، وذلك بتجاهله لكل ما يمت الى الجنس بصلة ، الى ان انفجرت فيه تلك النزعة بشكل مأساوي . فقد قصدت احدى الشابات ، وهي رفيقة له في الجامعة ، أثارته بداعي اللهو والعبث ، فاختلت معه في غرفته وأغلقت الباب وأخفت المفتاح . عند ذاك انقلب فجأة هذا الشاب رأساً على عقب ، فثارت غريزته التي لم يُتح لها ، بسبب الكبت ، ان تهذّب وتوجّه ، وانطلقت بشكل بدائي ، هدّام ، فاغتصب الفتاة ثم قتلها[٧٢] .

بمجمل الكلام ان الكبت ، بهذا المعنى الفرويدي الذي نحن بصدده ، انما هو نوع من الرياء ، ولكنه رياء لا شعوري الى حد بعيد[٧٣] ، يرفض الانسان بموجبه ان يجابه واقعه ، الذي هو واقع متوتر ، تجنباً لألم الصراع[٧٤] ومحافظة منه على صورة لذاته مثالية ترضي نرجسيته[٧٥]. ولكن انكار الواقع على هذا المنوال لا يتعدى كونه حلا رخيصاً ، زائفاً ومضراً . يقول الدكتور اندره برج بهذا الصدد : « لقد قال باسكال : « الانسان ليس ملاكاً ولا حيواناً ، الا أنه ، اذا شاء ان يوهم نفسه بأنه ملاك ، يتصرف عند ذاك كحيوان » . لذا ، فاذا شئنا ان لا نتصرف كحيوانات ، فلنبدأ بمنح الحيوان الذي فينا مكانه المشروع وبملاحظته دون رياء . أما اذا شئنا انكاره ، فهذا انما يُعرضنا لعنف يقظاته واما يحرمنا من مدد حيويته الذي لا غنى لنا عنه »[٧٦] .

ان موقف الكبت هذا يحدده الى حد بعيد عند الراشد

تاريخ طفولته . فاذا ساد تلك الطفولة جو تربوي خانق يسوده تجاهل الوالدين لغرائز الطفل ووقوفهم منها موقفاً عدوانياً (مبنياً لاشعورياً على خوفهم من الغرائز التي فيهم) نشأ الولد على اتخاذ موقف الهرب من غرائزه عوض ان يتمرس تدريجياً على تعهدها بوعي وتوجيهها بفعل ارادته . ان موقف الولد من نفسه يعينه الى حد بعيد موقف والديه منه . فاذا كان والداه يرفضان واقعه الغريزي ، يتمثل هو موقفهما فيرفض بدوره هذا الواقع ، ولا يجرؤ على مواجهته ، فينمو مجزّأً بين شخصيته الاجتماعية الواعية وشخصيته الغريزية اللاشعورية التي لا تندمج بالاولى بل تعيش على هامشها وتؤثر فيها بشكل خفي مثيرة فيها الاضطراب . وهكذا فقد يبقى طيلة حياته انساناً مكبوتاً[٧٧]. هذا لا يعني بالطبع ان التربية يجب ان تترك لغرائز الطفل العنان . فقبول واقع الغرائز لا يعني اطلاقاً موافقة الوالدين على كل ما تمليه على الطفل غرائزه . لقد أكد فرويد في مؤلفاته انه لا بد من وضع حد لاندفاع الغرائز ، والا فليس هناك من حضارة ممكنة[٧٨]. في احدى رسائله الى بفيستر ، وهو قسيس سويسري كان من أتباع فرويد ومن رواد تطبيق علم النفس التحليلي في مجال التربية ، كتب فرويد : « يجب بالطبع ان تكون هناك تربية ، وحتى ان تكون شديدة »[٧٩] . الا ان هذه الشدة يجب ان تكون مقرونة ، بنظر علم النفس التحليلي ، بالتفهم لحاجات الطفل وبمراعاة لامكاناته . هكذا تتجنب التربية الكبت وان كان لا بد لها من وقوف في وجه جموح الغرائز[٨٠] . ان التربية الصحيحة لحياة الطفل الغريزية والعاطفية يجب ان تعتمد التوعية عوض التعامي ، وان تركز على تهذيب الغرائز وتوجيهها عوض التأكيد على قمعها ، وان لا يغيب عنها ان للنضج مراحل لا بد من مراعاتها[٨١] .

ثالثاً – الكبت بمعنى القمع الاعمى لجنس غير مندمج في الشخصية

قلنا ان الكبت بمعناه الفرويدي الدقيق يعني ان النزعة الجنسية أصبحت على هامش الشخصية العاقلة ، الواعية ، تعمل وكأنها جسم غريب عن تلك الشخصية ، تحرمها من زخمها وتبث فيها الاضطراب ، دون ان تستطيع الذات ضبط وتوجيه ما هو خارج عن نطاق اشرافها .

الا ان الأمور قد لا تصل الى ذلك الحد ، فلا تغيب النزعة الجنسية في ظلمات اللاشعور كما هي الحال في الكبت بمعناه الدقيق ، الا انها رغم كونها واعية لا يسعها ان تندمج بالذات بل تبقى بالنسبة اليها كجسم غريب الى حد بعيد ، جسم يعي المرء هنا وجوده فيه ولكنه لا يستطيع ان يدمجه بذاته ، ان يؤلف بينه وبين نزعاته الاخرى ، فيبقى هكذا مجزّأ ، ممزقاً ، يَنشد وحدة تفلت منه باستمرار .

هذا ما يُنتج نمطاً من العفة تعوزه الاصالة رغم اخلاص صاحبه وجهوده المريرة احياناً . فالمرء في هذه الحال يدرك وجود النزعة الجنسية فيه ويقف لها بالمرصاد ، ولكن موقفه منها سلبي بحت ، موقف قمع وصدّ وزجر ، يحاول ان يقيد بشتى الوسائل تلك الطاقة المتوثبة فيه ، فلا يسعه بالتالي ان يتخذ منها موقفاً أكثر ايجابية وصفاءً يتيح له ان يفيد من غنى تلك الطاقة لتغذية شخصيته واحياء كافة نشاطاته ويفسح أمام تلك الطاقة المجال لتتفاعل مع سائر مقومات الشخصية فتحد من

غلوائها وتتهذب وتسمو . ومن جهة أخرى فان هذا المرء يصد النزعة الجنسية الكامنة فيه دون ان يكون عنده قناعة عميقة ، وجدانية ، بما هو فاعله . يجاهد لانه يشعر ان هـــذا الجهاد « واجب » عليه ، ولكنه غير مقتنع صميمياً بهذا الواجب ، غير متبين عميقاً معناه ، وبالتالي فانه لا يقوم به مدفوعاً بتصميم شخصي راسخ ، انما يُفرض عليه هذا « الواجب » فرضـاً ، كأنه من الخارج ، فيقوم به مغلوباً على أمره ، مما يُنتج عنده ، في كثير من الاحيان ، مرارة وحزنـاً يضفيان على « عفته » وجهاً قاتماً قد يثير نفور من يشاهده ويعطيهم عن « الفضيلة » صورة كريهة .

هذا الانسان ممزق بين القوى التي تتجاذب كيانه . فمن جهة غريزة جامحة لا تعرف ناموساً آخر سوى ضرورة اشباع نهمها مهما كلف الأمر ، ومن جهة أخرى قوى رادعة تتصدى لهذه الغريزة باسم واجب أعمى لا جـــذور حقيقية له في الشخصية العاقلة ، الواعية . تلك الشخصية لا تتعدى في هذه الحال كونها مسرحاً لهذا الصراع ، ولكنها لا تلعب فيه دوراً مـوجهاً ، فعالاً ، انها تعانيه ولكنها لا تتعهده فعلا . لا يجوز لنا في هذه الحال ان نقول ان هذا الانسان يضبط غريزته ، بل ان تلك الغريزة ، وقد بقيت على هامش شخصه ، تصطدم بقوى أخرى لها ذات الطابع الغريزي الأعمى ، فيؤدي ذلـــك الى نوع من التوازن لا يعطي المشكلة سوى حل ظاهري ، سطحي . بهذا المعنى يقول الدكتور اندره برج : « ان الذي يخضـع مرتجفاً لأمر لا يصدر لا عن ايمانه ، ولا عن عقله ، ولا عن أي شيء يعرفه بوضوح ، هذا يستسلم بالفعل لقوى غـــير واعية وغير

مراقبة »[٨٢]. قد يدّعي هذا الانسان انه يمارس العفة بدافع « المبدأ » او « الاخلاق » او « الدين » ، ولكن تلك العبارات لا تعبّر عن انتماء حيّ عنده ، انما هي تغطية لتلك القوى الرادعة العمياء النابعة من عقله الباطن .

قلنا ان هذا الموقف ليس بحل حقيقي للمشكلة . فالنزعة الجنسية تبقى على شكلها البدائي ، الخام ، ولا ترقى الى الحب الذي به يتحقق مرماها الانساني . لا بل ان هذا الموقف الزجري الأعمى من الجنس كثيراً ما يحدث رد فعل يعطي هذا الأخير أهمية مفرطة ويجعل منه الشغل الشاغل للمرء ، فتتحقق تلك المفارقة الا وهي ان هذا الانسان الذي شاء نفسه « عفيفاً » أصبح ، دون ان يقصد ذلك ، متهوساً بالجنس كالأباحي ، مع هذا الفارق ان الثاني مشغول بالجنس بغية الاستسلام اليه ، أما الأول فمشغول به بهاجس محاربته[٨٣] .

أما اذا شئنا ان ندرك أصل هذه المأساة ، فعلينا ان نعود الى جذورها في الطفولة . فقد بيّن فرويد[٨٤] ان عالم الغرائز الذي سمّاه الـ « هذا » («Es», «Ça», «Id») والذي لا يعرف قاعدة أخرى سوى اللذة ، يصطدم عند الطفل بأوامر الوالدين ونواهيهم التي تتسرب شيئاً فشيئاً الى كيانه وبعبارة أخرى « تتدخلن » فتكوّن في ذلك الكيان قوة تعارض قوة الغرائز وتوجه الشخصية النامية من الداخل على طريقة توجيه الوالدين لها من الخارج ، وقد دعاها فرويد « ما يعلو الذات » («Ueber Ich», «Surmoi», «Superego»)[٨٥] . بين تلك القوتين اللتين تتجاذبان الشخصية النامية ، قوة الغرائز من جهة ومتطلبات الحضارة من جهة أخرى ، يجب ان تشق « الذات »

(Ich, Moi, Ego) طريقها . و « الذات » (او « الأنا ») ، بنظر فرويد ، طاقة تأليف (synthèse) مهمتها ان تسعى الى التوفيق بين نداء الغرائز ومقتضيات الحضارة[٨٦]، فتتعهد هذه وتلك ، ملطفة ومعلية الغرائز بموجب المقتضيات الحضارية ، ومحيية قيم الحضارة بديناميكية الغرائز[٨٧]. هكذا تندمج الغرائز بالشخصية الواعية ، العاقلة ، الهادفة ، حسب قول فرويد المأثور : « حيث كان الهذا (Es) يجب ان تصير الذات (Ich) » (« Wo es war , soll ich werden ») . ومن جهة أخرى تصبح القيم الحضارية قيماً شخصية ، غير مفروضة من الخارج ولكنها نابعة من اختيار واعٍ ، حرّ ، يحدوه حبّ لهذه القيم يغتذي من الطاقة الغريزية ويسمو بها بآن[٨٨].

يُفرض في نمو « الذات » هذه ان يتم تدريجياً عبر مراحل الطفولة والمراهقة وان يقود الى شخصية متزنة ، موحّدة ، وبعبارة أخرى الى شخصية راشدة . الا ان عوائق متنوعة قد تنتصب في طريق هذا النمو وتحول دون بلوغ الذات ملء قامتها . من هذه العوامل تربية خانقة تسحق الذات تحت عبء سلطة « ما يعلو الذات » (Superego) طاغية . عند ذاك تصبح « الذات » هزيلة ، لا يسعها ان تلعب دور الحكم في الصراع الذي يكتنفها ، انما تقف منه موقف المتفرج الجزع ، تنفعل به عوض ان توجهه[٨٩]. عند ذاك يدور الصراع على هامش الذات ، بين قوى هي بالفعل غريبة عن الشخصية ، قوة الغرائز الغاشمة من جهة ، وقوة « ما يعلو الذات » ، من جهة أخرى ، تلك القوه التي تخلد سلطة الوالدين بشكل خاص والضغط التربوي والاجتماعي بشكل عام . هذا ما يقود الى هذا النوع من الكبت الذي نحن بصدده .

من اجل الحؤول دون هذا الانحراف الذي يضعف الشخصية ويزيّف الاخلاق ، ينبغي للتربية ان تحرص على مـــا يدعم « الذات » الناشئة عند الطفل . وبما ان « الذات » تحارب على جبهتين اذا صح التعبير (هذا تبسيط للامور لأن هناك جبهة ثالثة هي الواقع الخارجي) ، وجب السهر على تقويتها هنا وهناك . فمن جهة ينبغي ان لا يجرفها اندفاع الغرائز ، ولذا لا بد من سلطة في التربية[٩٠]. ومن جهة اخرى يجب ان لا يسحقها « ما يعلو الذات » ، ولذا يجب ان تكون السلطة مرنـــة ، متفهمة ، تستثير بشكل متزايد وعي الطفل ومبادرته ، وتدربه تدريجياً على تعهد نفسه بنفسه[٩١].

اما على صعيد تربية العفة ، على وجه الخصوص ، فيجب ، كما ينبهنا الدكتور اندره برج ، ان لا نقدم هذه الفضيلة كغاية بحد ذاتها ، كنهج يفرض ذاته بشكل كيفي على السلوك[٩٢]، فهذا ما يبقي النزعة الجنسية على وضعها الغريزي البحت ويلصق بها رادعاً خارجياً ليس الا ، مما يخلّد الصراع ويفرغه من معناه . يجب بالعكس ان تبدو العفة النتيجة الطبيعية لانـــتماء شخصي صميمي تهيّىء له التربية وسوف نحاول ايضاح معالمه فيما يلي .

ب - العفــة الحقــة

هذا العرض لميزات العفة الزائفة يقودنا الى مفهوم العفة الحقة التي هي على نقيض الاولى . تلك العفة الحقة لا تُبلغ بصورة مطلقة في الواقع لانها تفترض رشداً تامـــاً على الصعيد النفسي وكمالاً على الصعيد الخلقي ، والمعلوم انه ليس من انسان راشد تماماً او كامل خلقياً . الا انها مثال يقترب منه اكثر او اقل ، وهو حري على كل حال بأن يستقطب الجهود بالنظر لكونـه شرط تحقيق الجنس لمرماه الانساني . ولكن مـا هي مميزات تلك العفة الاصيلة ؟

١ – ليست خوفاً من الجنس بل تعهداً واعياً له

العفة الحقة تفترض تخطي الخوف الغريزي الذي يلازم ، كما رأينا ، النزعـــة الجنسية[٩٣] . العفيف فعلاً ينظر الى الجنس – والمقصود هنا نظرة معاشة ، وجدانية ، وليس نظـرة عقلية صرفة – لا كألى طاقة مخيفة بل كألى طاقة ايجابية في جوهرها. الا انه يدرك ان تلك الطاقة ، ككل الطاقات الطبيعية النابعة

من تكوين الانسان ، يجب ان يتعهدها هـــذا الاخير بحريته الواعية ، الخلاقة ، لكي « يؤنسنها » اذا صـح التعبير ، اي يوجّهها في خط تحقيق انسانيته الاصيلة . ان الخوف من الجنس يحول دون تعهده وبذلك يحكم عليه بأن يصبح قوة غريبة عـن الشخص واهدافه الانسانية ، قوة مظلمة وشريرة[٩٤]، اما تخطي الخوف فانه يمكن الانسان العنيف حقاً من تعهد الجنس « وأنسنته».

٢ – ليست انطواء بل اتجاهاً اصيلاً الى الاخر

تخطي الخوف هذا يفترض تجـاوزاً للنرجسية التي هي ، في آخر المطاف ، السبب العميق للتخوف من الجنس . هذا التجاوز للنرجسية يسام في تحقيقه النضج النفسي من جهة والجهاد الخلقي والروحي من جهة اخرى . بدونه ليس هناك من عفة اصيلة بل تقوقع بغية الهروب من مجازفـــة الحياة . العفيف حقاً ليس بمنطوٍ على نفسه ، انما هو ذاك المتجه بالفعل الى الآخر ، يرى فيه لا طريدة تُقتنص او فاكهة تُستهلك او اداة تُستخدم او مادة تُستغل او شيئاً يُمتلك ، انما يرى فيه شخصاً حراً ، مستقلاً ، كريماً ، فيأبى ان يدخل معه في علاقـة جنسية الا على اساس اعتباره لا شيئاً بل ذاتاً ، لا فريسة بل شريكاً . العفيف حقاً لا يعوزه الحب ، انما هـــو بالعكس حريص على اصالة الحب ، تلك الاصالة المشروطة بالاحترام العميق لشخص الآخر وارادة الخير له في الصميم[٩٥] .

٣ – انها صادرة عن اقتناع لا عن تبعية

اذا كانت العفة نابعة من مثل هذا الانفتاح الى الآخر والاحترام لشخصه ، فهذا يعني انها ليست سلوكاً يتلبسه المرء دون ان ينفذ الى عمق كيانه ، ولا دوراً يمثله انقياداً منه لعادات البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها او لضغط التربية التي تلقاها . انها بالعكس وليدة قناعته لا العقلية وحسب بل الوجدانية ايضاً . انها تعبير عن التزام كياني حر[٩٦]. لذا فالعفيف حقاً يحس بأنه في سلوكه منسجم مع ذاته الاصيلة ، انه فاعل لا منفعل ، خلاّق لا مقلّد . انه يختبر الحرية والفرح .

٤ – ليست تعامياً بل مواجهة

تلك العفة الاصيلة الصادرة عن اقتناع عميق بضرورة توجيه الجنس وفقاً لمرماه الانساني ، لا تمت بصلة الى الهرب من مشكلة يستعصي حلها ، هرب المكبوت الذي يتجاهل وجود النزعة الجنسية فيه . العفة الحقيقية تعهد للجنس ، مواجهة واعية له[٩٧]. تلك المواجهة ، التي هي على نقيض تعامي الكبت ، تؤول الى ضبط للجنس باسم المعنى الانساني الذي ينبغي ان يتحقق فيه .

هناك خلط شائع بين ضبط النفس هذا والكبت بمعناه الفرويدي[٩٨]. الا ان رائد التحليل النفسي قد ميز بوضوح بين العمليتين . فقد استعمل عبارتين ، احداهما (verdrangung) المترجمة الى الفرنسة بـ (refoulement) للدلالة على الكبت ، والثانية (Unterdrückung) المترجمة الى الفرنسية بـ (répression) للدلالة على ضبط النفس . فالكبت بالنسبة اليه عملية طفلية بطبيعتها ، اما ضبط النفس فصادر عن ذات ناضجة[٩٩] . وقد توسع الأدب

نفسي الحديث في تبيان هذا التميز[100].

لقد بيّن المحلل النفسي السويسري شارل اوديبه في كتابه « المصدران الواعي واللاواعي للحياة الخلقية » الفوارق الاساسية القائمة بين ضبط النفس والكبت بمعناه الفرويدي . فالكبت عملية غير عاقلة ، لا ارادية او نصف ارادية ، تجري على هامش الشخص ؛ انها عملية شبه ارتكاسية (quasi réflexe) غايتها الوحيدة تجنب الجزع[101]، تتم بدافع من « مبدأ اللذة » الغريزي[102]! لذا فليس لها من قيمة خلقية حقيقية ، اذ انها بالواقع مجرد اصطدام نزعة غريزية (الجنس مثلاً) بنزعة غريزية اخرى معاكسة (الاحتماء من الجزع) . اما ضبط النفس فهو عمل عاقل ارادي ، يساهم فيه الشخص صميمياً ، يوجهه السعي الى القيم وتحقيق مُثُل اتخذها المرء بوعي . لذا فان له قيمة خلقية فعلية .

ضبط النفس هذا لا يناقض الكبت وحسب انما لا يتحقق الا بتجاوزه . ذلك ان الكبت ، كما رأينا ، بابعاده النزعة المكبوتة من نطاق الوعي ، يحول دون امكانية مراقبتها بشكل فعّال[103]! لذا فعندما يعمل التحليل النفسي على ازالة الكبت بالتوعية ، فانه لا يستهدف من وراء ذلك ، بخلاف وهم شائع ، الى انفلات الغرائز بل الى تمكين الانسان من مراقبتها الفعلية وتوجيهها . انه بوضعه الطاقة الغريزية في متناول الشخص يجعل قيادتها ممكنة . ازالة الكبت ، تلك التي يسعى اليها التحليل النفسي ، شرط اذاً لقيام ضبط للنفس صحيح[104]. بهذا المعنى ايضاً يقول العالم النفسي المعاصر الكبير كارل روجرز ، صاحب الطريقة اللاموجّهة في التربية والعلاج النفسي ، ان قبول الانسان

لنفسه شرط ضروري ليتفيّر متحرراً[١٠٥] وهو يعني بذلك ان المواجهة الواعية لكوامن النفس تمكن وحدها من تعهدها وتوجيهها وفق اهداف الشخص عوض الانقياد اللاشعوري الى تأثيراتها .

هكذا فالعفة الحقة وحدها ، لانها تواجه الجنس ، يمكنها ان تضبطه وتتعهده ، بينما العفة الزائفة منقادة اليه من حيث لا تدري[١٠٦] .

٥ – ليست تجزئة للكيان الانساني بل تعبيرا عن جنس مندمج بشخصية متكاملة موحّدة ؛[١٠٧]

تلك المواجهة الحرّة للجنس وذلك الموقف الايجابي الصميمي منه ، اللذان تتميز بهما العفة الحقة يجنّبان المرء ضرر التجزئة الكيانية التي رأيناها ملازمة للكبت بمختلف معانيه . فالجنس عند الانسان العفيف حقاً ليس جسماً غريباً قائماً على هامش الشخصية تقف منه هذه الاخيرة موقفاً مبنياً على التجاهل او الصدّ ، فيتسرب اليها عنوة باشكال ملتوية ويُحرم من توجيهها فيما تُحرم هي من زخمه . انما هو مندمج بالشخصية يتفاعل مع عناصرها المختلفة فيغنيها بحيويته ويتخذ منها بُعده الانساني .

لقد وصف فرويد هذا الوضع المثالي بقوله : « هذا ما يمكن ان يُسمى « باخضاع » الغريزة وهو عبارة عن اندماج النزعة الغريزية كلياً بمجموعة الذات المنسجمة . هكذا تصبح الغريزة قابلة للتأثر بميول اخرى من ميول الذات ولا تسلك فيما بعد طريقها الخاصة للوصول الى الارتواء »[١٠٨].

هذا الاندماج (intégration) لا يعني بالطبع زوال التوتر وحتى الصراع . فالانسان كائن معقد ابداً لا يحقق ذاته الا من خلال توتر مستمر بين العوامل المختلفة والمتضادة التي يتألف منها كيانه ، مثلاً بين النزعة النرجسية الغريزية والمرمى الاتحادي اللذين يتجاذبان الجنس عنده . الا ان صراع العفة هو من جهة صراع واعٍ ، يجري في النور لا في ظلمة اللاشعور ، ومن جهة اخرى صراع تخوضه شخصية موحدة تسعى ، من خلال التوتر الى وحـــدة متزايدة مبنية ، لا على تجاهل احد العنصرين المتضادين او محاولة رفضه كلياً ، بل على التأليف بينهما بالاحتفاظ بالحيوية النابعة من الغريزة مع تهذيبها بالقيم الانسانية . هذا الموقف الذي يتحاشى به المرء الانفلات والسلبية المتصلبة بآن يجعل التفاعل ممكناً بين الجنس والقيم التي تدين بها الشخصية ، فيغتذي السعي الى القيم بالزخم النابع من الجنس ويتجلى الجنس من جهته بالقيم .

تجلي الجنس هذا هو ذلك « الاعـــلاء » او « التسامي » (sublimation) الذي وصفه لنا فرويد . انه عملية تتمـيز بها العفة الحقة عن العفة الزائفة الناتجة عن الكبت . فـالكبت ، بموقفه السلبي المحض ، يقصي النزعة الجنسية عن حركة الشخصية ، وبالتالي يحكم عليها ان تبقى كما هي . اما الاعلاء فتعهد صميمي للنزعة الجنسية يمكّن من تطويرها والسمو بها[١٠٩]. هذا التسامي ممكن لان النزعة الجنسية عند الانسان تمتاز ، كما بيّن فرويد ، بمرونتها[١١٠] ، بمقدرتها على التحوّل دون ان تفقد شيئاً من قوتها[١١١]. لذا يمكنها ان ترتقي من صعيد الاشباع الغريزي البحت الى صعيد الحب الذي يشمل الغريزة ويتجاوزها بآن . يمكن للنزعة الجنسية ان تسمو بالحب . اما ما لم يُستخدم منها في خط الحب هذا ، أي ما سبق نشوء الحب او ما فاض عنه ، فـله سبل أخرى

متنوعة للتسامي في مختلف النشاطات الحضارية[١١٢]. فقد أشار فرويد الى العمل العقلي كاحدى سبل تسامي الجنس هذه اذ كتب : « من المؤكد ان وجود عالم شاب ممتنع عن الممارسة الجنسية ليس بأمر نادر . ان هذا الأخير يمكنه ، بواسطة كبح جماح غريزته ، ان يطلق قوى يستخدمها لدراسته »[١١٣]، وايضاً : « يمكن القول ان العمل الفكري تغذيه ، بدوره ، دوافع جنسية مُعلاة »[١١٤].

ثم ان الملاقات العاطفية المختلفة التي تنشئها الحياة الاجتماعية من « تعاطف وصداقة وثقة » هي أيضاً ، حسبما أوضح فرويد ، مجالات لتصعيد النزعة الجنسية[١١٥].

هكذا تفتح أمام الانسان العفيف فعلاً أبواب عديدة لاعلاء الجنس ، ليس بأنه يقرر بأن يسمو بنزعته الجنسية في هذا وذاك من المجالات فيتم له ما أراد[١١٦]. فالاعلاء عملية لاشعورية الى حد بعيد[١١٧]، ولكنها تتم بصورة طبيعية في الانسان العفيف حقاً كون الجنس عنده ليس مفصولاً بحواجز الكبت عن عناصر الشخصية الأخرى ولكنه متفاعل معها لذا يسمه ان ينطلق صُعُداً في هذا او ذاك من مجالاتها[١١٨]، منسكباً في النشاطات التي توفّرها للمرء مواهبُه واستعدادته الخاصة وظروف بيئته . هذه النشاطات قد تكون رياضية او فنية او فكرية او اجتماعية . قد تكون انتاج أثر يستقطب الجهود او التزام قضية انسانية باندفاع وحماس . وقد يُعلى بالجنس فيغذي الحياة الروحية بزخمه[١١٩]. فالشاعر الفرنسي الكبير جان راسين ، وقد اندفع في شبابه بنهم في المغامرات الغرامية ، تحول حوالي الأربعين من عمره فغيّر سلوكه وتزوج واندفع في طريق التدين ، وقد قيل عنه

انه أخذ « يحب الله كما كان يحب عشيقاته »[120]. أذكر نموذجاً آخر ، في عصرنا هذا ، وهو هذا الشاب غي دي لاريفودي ، ذو الحيوية الفياضة الذي قُتل حوالى الثلاثين في خدمة بلاده في مطلع الحرب العالمية الثانية بعد ان قاد الكشاف وعاش المجازفات المثيرة وجال العالم وتعرف على جمالاته كلها ، وبقي وسط ذلك عفيفاً معبراً عن سر عفته في تلك العبارة التي وردت في أحد كتبه : « ينبغي ان يكون القلب مليئاً بالله كما ان قلب الخطيب مفعم بالمرأة التي يحبها »[121]. اعلاء الجنس هذا الى صعيد الحب الالهي أمر فطن اليه الخبراء في الحياة الروحية مستبقين بذلك بحدسهم اكتشافات علم النفس التحليلي . قال أحدهم ، يوحنا السلمي ، وهو راهب توفي في منتصف القرن السابع وقد سكب خبرته الروحية الطويلة في كتاب سماه « سلم الفضائل » : « رأيت نفوساً نجسة هائمة هياماً شديداً بعشق الأجسام . ولما أخذت تحفظ التوبة استفادت من تجربة العشق اذ نقلت غرامها الى الرب وعلت فوق كل خوف وذاقت حب الله ذوقاً لا يشبع . ولهذا لم يقل ربنا للزانية انك خشيت كثيراً بل أحببت كثيراً . وهكذا تمكنت ان تدفع عشقاً بعشق »[122]. وقد تفوه روحي آخر ، هو اسحق السرياني ، بهذه الصلاة ذات الاعماق النفسية المدهشة بالنسبة لعصره : « يا رب اعطنا ان نحبك بقوة أهوائنا » . بهذا المعنى أيضاً قال مكسيموس المعترف ان « الناس الأذكياء والفاضلين يحولون هوى الرغبة الى حركة روحية ترفعهم وتجعلهم يتوقون الى الأشياء الالهية »[123]. أما غريغوريوس النيصصي فقد أكّد هو أيضاً على دور الأهواء ، قائلاً « اننا لا نتقدم نحو السماء الا اذا مددنا أشرعتنا لتهبّ فيها »[124].

من جهة أخرى يبيّن لنا لانزا دال فاستو ، وهو تلميذ

أوروبي لفاندي ، كيف يستخدم الروحيون الهندوقيون اعـلاء الجنس هذا ، اذ يقول :

« أنه لأمر مذهل لأول وهلة ان شيف (وهو إله هندوقي) ، أمير الزهّاد ، يُرمز اليه بالجاموس وبالعضو التناسلي الذكر ...

« انه يعلمنا ... ان تلك الطاقة المولّدة والخـلاّقة عينها التي تظهر كجنس على الصعيد الحيـوي ، تصبح ، اذا ضبطها التقشف وضغطها وتسامى بها ، مـادة الروح الصلبة وسنانها الفريد . هذا هو مـبرر تلك العفة التي يحرص عليها بشدة على السواء أتباع شيف وروحيو الكثلكة الكبار »[125].

خبرة الروحيين هذه تلتقي مع الملاحظة التي يبديها الاخصائي النفسي الانـكليزي الكبير هادفيلد عندما يقول : « ان عدداً كبيراً من المراهقين يُشفون من الاستمناء ، حتى اذا اتخذ هذ الأخير عندهم شكلاً مرضياً ، بتأثير اهتداء ديني يحرك كيانهم ، ويغيّر اتجاه حياتهم الانفعالية ، ويحوّل نرجسيتهم الى حب لله وللآخرين »[126].

هكذا فالانسان العفيف حقاً يستطيع ان يطلق الطاقات التي فيه فيبني بها شخصه والآخرين عوض ان يجمدها كالمكبوت في صراع عقيم او يبذرها كالماجن في لهو فارغ .

لقد تحدث العالم والمفكر الكبير تيّار دي شاردين عن الطاقة الهائلة التي يمكن للحضارة ان تستمدها من الجنس والتي غالباً ما تضيع بالكبت او العبث : « الحب هو أكثر الطاقات الكونية شمولاً وقوة وغموضاً »[127]، يقول تيّار ، وفي مكان آخر

« سيأتي يوم نتوصل فيه ، بعد تسخيرنا الاثير والرياح والمدّ والجاذبية ، ان نسخّر ، من أجل الله ، طاقات الحب . عند ذاك ، وللمرة الثانية في تاريخ العالم ، يكون الانسان قد وجد النار »[128].

ج - مظاهر العفة

تلك العفة الحقة ، التي هي قاعدة الاستعمال الانساني للجنس ، لها مظاهر مختلفة ، سنعرض منها اثنين هنا ، تاركين المظهر الثالث ، الا وهو العفة المكرسة ، للفصل الأخير من هذا الكتاب .

١ - العفة قبل الزواج

فهناك أولاً العفة قبل الزواج . انها لا تعني ، كما يُفهم خطأ من منظار شكلي بحت ، شائع لسوء الحظ ، ان الانسان يمتنع عن ممارسة الجنس بانتظار عقد شرعي ذي صفة اجتماعية او دينية يسمح له بممارسته بشكل « حلال » . هذا المنظار لا يفقه معنى الجنس العميق ، بل ينظر اليه كما الى مجرد غريزة تُكبح الى فترة ما ثم يُطلق لها العنان في ظل الشرع . عند ذاك كيف السبيل للاجابة على هذا السؤال الذي طرحه عليّ أحد الشبان والذي لا بد ان الكثيرين يطرحونه على أنفسهم : لماذا تعتبر ممارسة الجنس خطأ قبل الزواج وأمراً مستحسناً في الزواج ؟ وبعبارة أخرى : هل يكفي ان تُضفى صفة الشرعية على عمل

غريزي لكي يصبح هذا العمل حسناً فيما كان معتبراً فاسداً قبل ذلك ؟[129] بنظري ان هذا المنظار الشكلي والشرعي البحت يفرغ العفة قبل الزواج من معناها ويعرضها للتحول الى كبت عقيم ومضر كما انه بالطبع يفسد معنى الزواج نفسه .

بالواقع العفة الحقة قبل الزواج هي رفض التفريط بالجنس وذلك بالامتناع عن ممارسته خارج اطاره الانساني الكامل الا وهو الحب الحقيقي الناضج المكرّس بالزواج . في مقال سبق ان نوهت به ، عن « العفة والحب من منظار سيكولوجي » ، كتبتُ في هذا الشأن : « الانسان العفيف هو الذي يربط الجنس بالحب ويرفض ان يدنسه بتحويله الى اداة للتمتع الاناني المنعزل . انه اذاً لا يحتقر الجنس ولا يعتبره خاطئاً بحد ذاته ، كما يعتقد الكثيرون ممن يجهلون معنى العفة الحقة ، ولكنه على العكس يحترمه كثيراً ولذلك يريد ان يحافظ على معناه الانساني ، فلا يفرط به بل يؤجل ممارسته الى الوقت الذي فيه يستطيع ، وقد حصل على نضوج عقلي وعاطفي كاف ، ان يتعهد في وجوده وجوداً آخر في عطاء للنفس كامل ونهائي . ان الانسان العفيف بالحقيقة هو الذي يحفظ ذاته ، لا بداعي خوف مرضي من الحب ، ولكن بأسم الحب عينه ، ليتسنى له يوماً ان يعطي ذاته بكليته ، نفساً وجسداً ، للكائن الذي سوف يختاره ليتحد حياته به . وهكذا فالصراع الذي يخوضه من اجل حفظ نفسه والتضحيات التي يبذلها لكي لا يستسلم لنداء اللذة الانانية ، كل ذلك هو بمثابة تكريم للحب المستقبل الذي سيشتعل فيه يوماً حاراً ، نقياً . ان هذا النظام الذي يفرضه على نفسه يساعده على تحطيم انانيته شيئاً فشيئاً وعلى انتزاع حب التمتع بالذات من

كيانه ، وهذا يمهد لانبثاق حب عميق كما انه يزيد الشخص تعلقاً بذاك المحبوب الذي من اجله ، ومن قبل ان يعرفه ، جاهد هذا الجهاد القاسي . ان العفة هي اذن بالفعل استمداد للحب وتأهل له »[130].

كثيراً ما يُطرح السؤال : ماذا يفعل الشاب بتلك الطاقة الجنسية الكامنة فيه والتي لا يسمها بعد ان تنصرف في خط الحب ؟ الجواب انه ، اذا كان غير معقد بتأثير طفولته — لأن العقد النفسية تجعل ، كما بيّن فرويد[131]، الامتناع الجنسي صعب الاحتمال ، اذ ان الكبت الذي تفترضه يضعف الطاقة على « الاعلاء »[132] — واذا وفرت له البيئة الفرص المؤاتية ، يستطيع ان « يُعلي » قسطاً كبيراً من طاقته الجنسية هذه[133]. وقد بيّنت هيلين دوتش ان عملية الاعلاء هذه تلعب دوراً هاماً في نمو الشخصية حين المراهقة اذ تطلق طاقة تُستخدم في هذا النمو[134]. وقد ذكرت تلك المحللة النفسية الكبيرة ، التي حلّلها فرويد نفسه حين تدريبها ، رأياً ابداه فرويد بهذا الصدد ، قالت: « منذ سنوات في اجتماع لم يحضره سوى عدد قليل من المشتركين ، ابدى فرويد معارضته لاطروحة ويلهلم رايش الذي كان يشدد على ان يبدأ النشاط الجنسي منذ المراهقة ، اي منذ ان يسمح به للفرد تكوينه البيولوجي . اما فرويد فقد كان يعتبر ان تأجيل الاشباع الى وقت لاحق عنصر هام في عملية الاعلاء وبالتالي اساسي من اجل النمو »[135].

٢ — العفة في الزواج

ولكن مفهومنا للعفة لا كمجرد موقف سلبي بل كقاعدة

ممارسة الجنس ضمن فحواه الانسانية ، يعني ان العفة ليست محصورة في الفترة التي تسبق الزواج انما تمتد الى الزواج نفسه .
ن المفهوم الشكلي للزواج ، ذلك المفهوم الذي يتنكر ، كما رأينا ، لمعنى الجنس العميق ، يؤدي الى رأي خاطىء منتشر هو ايضاً ، لسوء الحظ ، الا وهو ان العفة تقف عند عتبة الزواج ، وان هذه الاخيرة عبارة عـــن صك شرعي يسمح باطلاق الغريزة على سجيتها ، وبتعبير آخر ان الزواج دعارة مشروعة على نوع ما ، مما يدفع الى التساؤل كيف يمكن للشرع ان يضفي على « الدعارة » صفة « الحلال » .

الواقع ان العفة ملازمة للزواج اذا اخذناه بمفهومه الحقيقي ، لا كعقد شرعي وحسب ، بل كتكريس للحب والتزام علني به . عند ذاك تفهم العفة في الزواج محـــافظة على الرباط الزوجي كشرط لممارسة الجنس في اطاره الانساني الاصيل ، اطار الحب الواحد الدائم . هذا يفترض — اذا كان الرباط الزوجي ، كما اوضحناه ، رباطاً كيانياً وليس فقط صكاً شرعياً — من جهة الامانة الزوجية ، بمعناها العميق لا الخارجي وحسب ، ومن جهة اخرى السهر على ان يبقى الاتصال الجنسي بين الزوجين معبراً عن لقاء صميمي وان لا يصبح مجرد عادة مريحة او تعبير عن امتلاك للآخر كأنه شيء او محاولة لتسخيره للاغراض الذاتية[١٣٦]. ان تجاوز العنصر النرجسي الغريزي الكامن في الجنس عملية مستمرة ضمن الحب الزوجي نفسه وهي مجال لجهاد العفة في الزواج[١٣٧].

في المقال المذكور أعلاه ، كتبت بهـذا الخصوص : « هناك أيضاً عفة في الزواج ، عفة يقتضيها الحب . انها لا تقوم على الامتناع عن العمل الجنسي (وان كان القبـــول وقتياً بامتناع

كهذا ، سواء أفرضته الظروف أم كان اختيارياً ، واسطة لاكتسابها) ، ولكنها تقوم على المحافظة على المعنى الأصيل للحياة الجنسية ، أنها عبارة عن اخضاع الحياة الجنسية لهذا الحب الذي يجعل كلاً من الزوجين يشعر ان رأي الآخر وراحته وحياته وسعادته ثمينة وهامة كحياته هو . هذه العفة هي ان يكون العمل الجنسي معبراً عن الاهتمام الكلي بالآخر ، عن الانعطاف العميق نحوه . أما الانطواء على النفس واستعمال الآخر كمجرد متعة لاشباع رغبة أنانية فهو مخالف للعفة ومدنس بالتالي للزواج[١٣٨]: فالزواج يُدنس اذا أصبح اتحاد الزوجين الجسدي مجرد اشباع غريزي حيواني لحاجة جسدية بحتة ، واذا تحول هذا الاتحاد الى عملية آلية اعتيادية افرغت من معناها العميق ، واذا أصبح السعي وراء اللذة هدف الزوجين الوحيد في جماعهما ، اذا اصبحت اللذة صنماً وهوساً عوض ان تكون تعبيراً عن المحبة المتبادلة . فالزوج الذي يفرض على شريكة حياته وصالاً ليست راغبة فيه ، فيستعبدها هكذا لشهوته ، يخالف عفة الزواج ، وكذلك المرأة التي ترغب في الجماع لتتمكن من السيطرة على زوجها بهذه الواسطة ومن استعباده لارادتها ، او التي تسلم ذاتها فقط للتمتع بشعورها انها مشتهاة ، مدللة ، او لانها تريد فقط ان تثير الاعجاب »[١٣٩]. وايضاً : « ان هذه العفة الزوجية ترتكز في صميم العلاقات الجنسية بين الزوجين وتسيّرها . ولنأخذ مثلاً على ذلك : انهم كثيراً ما يتكلمون في أيامنا عن « الانسجام الجنسي » ويعتبرونه بحق من المقومات الرئيسية للسعادة الزوجية والاتحاد بين الزوجين . ولكن ، لكي يتمّ ذاك الانسجام في العلاقات الزوجية ، فيشترك الزوجان معاً في متعة اتحادهما ، يُطلب من الزوجة ان تعطي ذاتها حتى في حال عدم تجاوبها مع

اندفاع زوجها – وعدم التجاوب هذا يحدث كثيراً خاصة في أوائل الحياة الزوجية – مما يتطلب منها كثيراً من الثقة والتسليم والخضوع الحي والتواضع ، أما الزوج فيُطلب منه ان يتأنى كثيراً ويضبط غريزته الجامحة ويسيطر على حركات جسده اللاارادية ويبدي تجاه زوجته صبراً كبيراً ورقة وانعطافاً لكي يوقظ فيها شيئاً فشيئاً ذاك الشعور المتدفق فيه ويجعلها متمتعة بتلك المسرة معه في وحدة كاملة ...

وهكذا يتضح ان الانسجام الجنسي ليس هو وليد عناصر جسدية فحسب ، ولا يمكن ان يُكتسب بمجرد استخدام نوع من التقنية الآلية ، انما هو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحب الكامل وبمقتضياته المعطائية ، ورهن باخضاع الحياة الجنسية للحب ، وبعبارة أخرى رهن بعفة الزواج »[140]. لقد قال الفيلسوف المعاصر جان غيتون بهذا الشأن في كتابه « الحب البشري » : « ليست وحدة الزوجين الجسدية سبب الحب بقدر ما هي نتيجته »[141].

د - تربية العفة

تلك العفة الحقة ، التي يحيد عنها المرء سواء بالأباحية او بالتزمت ، يجب ان تُربى ، أي ان يهيء لها ، منذ الطفولة ، الشروط التي تساعدها على ان تتحقق وتستقيم . واذا كانت العفة ، كما حددناها ، قاعدة استعمال الجنس في خطه الانساني ، فتربية العفة هي اسم آخر لتربية الجنس بغية مساعدته على تحقيق مرماه الانساني . تلك التربية ينبغي لها بنظري ان تسعى الى تنشئة ثلاثة مواقف أساسية : قبول للجنس ، ضبط للغرائز ، اتجاه صميمي الى الآخر .

١ - قبول الجنس

العفة لا تستقيم ان لم تنطلق من قبول صميمي للجنس ، أي اعتباره طاقة موجودة في الكيان الانساني ، لا تنفصل عنه انما تشغل فيه مركزاً هاماً لانها لا تدفع الجنسين أحدهما نحو الآخر بقوة وحسب (attrait sexuel) ، انما تغذي بزخمها النشاطات البشرية قاطبة ، حتى أسماها ، وتطبع كامل شخصية كل امرىء

بسمات جنسه المميزة (caractères sexués)[١٤٢]، طاقة هي ايجابية في صميمها وان كانت ملتبسة بطبيعتها . بدون موقف القبـول هذا ، لا تعهد حقيقي للجنس ، بـل كبت يجزؤ الشخصية ويزيف العفة .

قبول الانسان لجنسه رهن الى حد بعيد لموقف المربيـن من هذا الجنس ، وبنوع خاص بموقف الوالدين[١٤٣] فالولد يكتشف مبكراً اعضاءه التناسلية كما يكتشف سائر اعضاء جسده[١٤٤]، وسرعان ما يبدأ بطرح أسئلة تتعلق بالجنس ، أسئلة تتدرج عادة من اختلاف الجنسين الى ولادة الاطفال ووضعهم قبل هذه الولادة الى دور الأب في انجابهم[١٤٥]. فاذا كان موقف الوالدين ايجابياً في الأساس تجاه تلك الاكتشافات والتساؤلات ، اذا أحس الطفل انهم يعتبرون اعضاءه التناسلية شيئاً طبيعياً وهاماً وانهـم يجيبون على اسئلته بشكل طبيعي وفق امكاناته العقلية وحاجاته ، دون ان يزجروه — كأنه مسّ مجالاً « تابو » لا يجوز الاقتراب منه — او يتهربوا من الاجابة[١٤٦] او يضللوه ، عند ذاك يتمثل موقفهم في هذا المجال كما يتمثله في سائر المجالات ، فيقبل بجنسه كجزء طبيعي وهام من شخصيته ويتسنى له بالتالي ان يتعهده وان يتفاعل واياه بحرية . أما اذا كان موقف الوالدين من مظاهر الجنس عند ولدهم سلبياً (وهذا ينتج في كثير من الأحيان عن عدم قبولهم العميق لجنسهم) ، اذا كانوا يتجاهـلون اعضاءه التناسلية واسئلته الجنسية ، او يزجرون كل اكتشاف او اهتمام له في هذا المجال ، فأنه يختـبر الجنس ، من خلال موقف والديه هذا ، على انه مجال مخجل ، مرعب ، مجال جزع واثم[١٤٧]، وبالتالي ينزع الى الوقوف منه موقفاً مبنياً على التجاهل والصد ، موقف الكبت الذي يجزؤ الشخصية ويعقّمها[١٤٨]. وفي حال تلقي الولد تربية دينية ، فقـد يوحّد

بسمات جنسه المميزة (caractères sexués)[١٤٢]، طاقة هي ايجابية في صميمها وان كانت ملتبسة بطبيعتها . بدون موقف القبـول هذا ، لا تعهد حقيقي للجنس ، بـل كبت يجزؤ الشخصية ويزيف العفة .

قبول الانسان لجنسه رهن الى حد بعيد لموقف المربـين من هذا الجنس ، وبنوع خاص بموقف الوالدين[١٤٣] فالولد يكتشف مبكراً اعضاءه التناسلية كما يكتشف سائر اعضاء جسده[١٤٤]، وسرعان ما يبدأ بطرح أسئلة تتعلق بالجنس ، أسئلة تتدرج عادة من اختلاف الجنسين الى ولادة الاطفال ووضعهم قبل هذه الولادة الى دور الأب في انجابهم[١٤٥]. فاذا كان موقف الوالدين ايجابياً في الأساس تجاه تلك الاكتشافات والتساؤلات ، اذا أحس الطفل انهم يعتبرون اعضاءه التناسلية شيئاً طبيعياً وهاماً وانهـم يجيبون على اسئلته بشكل طبيعي وفق امكاناته العقلية وحاجاته ، دون ان يزجروه – كأنه مسّ مجالاً « تابو » لا يجوز الاقتراب منه – او يتهربوا من الاجابة[١٤٦] او يضللوه ، عند ذاك يتمثل موقفهم في هذا المجال كما يتمثله في سائر المجالات ، فيقبل بجنسه كجزء طبيعي وهام من شخصيته ويتسنى له بالتالي ان يتعهده وان يتفاعل واياه بحرية . أما اذا كان موقف الوالدين من مظاهر الجنس عند ولدهم سلبياً (وهذا ينتج في كثير من الأحيان عن عدم قبولهم العميق لجنسهم) ، اذا كانوا يتجاهلـون اعضاءه التناسلية واسئلته الجنسية ، او يزجرون كل اكتشاف او اهتمام له في هذا المجال ، فأنه يختـبر الجنس ، من خلال موقف والديه هذا ، على انه مجال مخجل ، مرعب ، مجال جزع واثم[١٤٧]، وبالتالي ينزع الى الوقوف منه موقفاً مبنياً على التجاهل والصد ، موقف الكبت الذي يجزؤ الشخصية ويعقّمها[١٤٨]. وفي حال تلقي الولد تربية دينية ، فقـد يوحّد

لاشعورياً بين موقف الله وموقف والديه من الجنس ، فيحس ان وجود النزعة الجنسية فيه هو بحد ذاته خطيئة امام الله . هذا ما اوضحته مثلا ام مؤمنة هي بآن اخصائية نفسية مختصة بمعالجة الاطفال نفسياً ، مرلين لايست ، في كتابها « الطفل والله » . لقد بينت الكاتبة كيف يشوه هذا الانحراف الايمان بل يهدد بزواله . فعند المراهقة قد تدفع يقظة الجنس المراهق الى رفض ذلك الاله الذي صورته له تربية طاغية على انه يبغض هذا الجسد الذي هو خالقه ؛ وبما انه لم يتمكن من اعتبار جسده هيكلا لله فقد ينصبه صنما يتحدى الله به[149].

٢ – ضبط الغرائز[150]

قبول الجنس شرط لتعهده وبالتالي « لأنسنته » . ولكن تلك « الانسنة » تفترض ضبط النزعة الجنسية ، بغية اخضاع زخمها الغريزي للقيم الانسانية . لذا كان من مقومات تربية الجنس ، او تربية العفة ، تنشئة الطاقة على ضبط الغرائز . تلك الطاقة التي بدونها لا « يتأنسن » الجنس وبوجه اعمّ لا تتحقق انسانية الانسان ، انما هي من صميم الكيان الانساني ، مسجلة في التكوين البيولوجي الذي يتميز به الانسان .

ففي المخّ مركز سفليّ يُدعى الهيبوتالموس ، هو مركز الحياة الغريزية . هذا المركز يتمتع عند الحيوان باستقلال كبير ويسيّر بالتالي الى حد بعيد السلوك الغريزي الحيواني بشتى انواعه فيجري هذا السلوك وفقاً لنواميس محددة فطرياً ، دون ان يكون للحيوان اشراف فعلي عليه . اما عند الانسان ، فقد

تقلص الهيبوتالموس من جهة ومن جهة اخرى اصبح واقعاً تحت اشراف المركز الاعلى من المخ اي القشرة ، الذي نمـا عند الانسان بشكل ملحوظ[١٥١]. لذا لم يعد الهيبوتالموس يتحكم بالحياة الغريزية الانسانية ، كما هي الحال عند الحيوان ، بـل بمجرد العمليات العضوية التي ترافق السلوك الغريزي . اما هذا السلوك فقد اصبح تحت سيطرة القشرة ، مركز الوعي والفكر . زد على ذلك ان القشرة نفسها هي ، مع الهيبوتالموس ، موضوعة تحت اشراف الجزء الامامي منها الكامن وراء الجبهة zone préfrontale ، ذلك الجزء النامي بشكل خاص عند الانسان والذي هو مركز السيطرة على الذات والتوازن الانفعالي والاهتمام بالمستقبل وبالآخر وبالواجب وبالقيم . نمو هذا الجزء من القشرة عند الانسان هو المرتكز العضوي لمقدرته على ضبط نفسه وفقاً للقيم التي يدركها ، انه المرتكز العضوي للحرية الانسانية التي توجـه الغرائز دون ان تستسلم لحتميتها[١٥٢].

فعلى التربية اذاً ان تنمي في الكائن البشري هذه الطاقـة المسجلة في تكوينه العضوي نفسه ، طاقة ضبط غرائزه وتوجيهها . هذا لا يتم باخضاعه لعوائد وتقاليد تفرض عليه من الخارج ، اذ ان هذا النوع من التربية لا ينقذ الانسان من حتمية الغرائز الا لجعله فريسة لحتمية اخرى ، هي حتمية العرف الاجتماعي . انما التربية الحقة تكون بالتوعية وايقاظ الاحساس بالمسؤولية وتدريب المرء منذ طفولته على تخطي العقبات واذلال الصعاب في سبيل هدف يستهويه .

ضبط النزعة الجنسية ، رغم اهميته ، ليس غاية بحد ذاته ، انما هو مسخر لتوجيه الجنس وفق خطه الانساني . وبما ان هذا الخط هو ، كما رأينا ، خط اللقاء بالآخر ، وجب اذاً على التربية ان تنمي في المرء هاجس الآخر الذي به يتهذب الجنس ويتخطى ، قدر المستطاع ، نرجسيته الغريزية ، وبه ايضاً يصبح ضبط النفس لا عملية قمعية بحتة تفرضها التربية والتقاليد بل تعبير عن اقتناع عميق والتزام فعلي للمعنى الانساني للجنس .

كل ما من شأنه ان يوقظ الاهتمام بالآخرين ويفجّر طاقة المحبة الكامنة في الكائن البشري[١٥٤]، يساهم بالتالي في تربية الجنس واكتساب العفة[١٥٥]. ولنرَ كيف يمكن ان يتم ذلك على صعيد التربية العائلية والتربية المدرسية والتربية الدينية :

اولا – في التربية العائلية

فالتربية العائلية أساسية من هذا القبيل ، اذ ان الطفل يتمرس على المحبة بفضل مناخ الحب الذي يكتنفه في جوّه العائلي[١٥٦]. الطفل نرجسي في أول عمره ، كما رأينا ، ولكنه يخرج تدريجياً من قوقعة نرجسيته اذا أحسّ بأنه محبوب فعلا . حب والديه له يعطيه طمأنينة عميقة تشيع فيه ثقة بالحياة والناس وتجعله بالتالي قادراً على تخطي حدود ذاته للاتصال بالكون والآخرين . الحب الذي يكتنفه يجعله راسخاً في الوجود ويعطيه بالتالي الجرأة على ان يدخل بدوره في مجازفة الحب[١٥٧]. اما اذ

لم يحصل على تلك الطمأنينة العميقة التي يحتاج اليها نموه العاطفي ، سواء لان والديه لا يهتمان به حقيقة (وان كانا يغدقان عليه الهدايا تعويضاً عن نقص العطف هذا) وربما لم يرغبا في وجوده ، او يتطلبان منه فوق مقدوره (غير مراعين امكانياته المحدودة كطفل او مؤهلاته الخاصة كفرد) ، او لا يراعيان حاجاته . او لا يؤمنان له ذلك الجو المستقر ، الآمن ، الناتج عن الاتحاد بينهما ، أو لغير ذلك من الأسباب ، فان الطفل يتمسك بنرجسيته الاولى ، محتمياً بها من هذا الكون الذي يبدو له مقلقاً ، مخيفاً ، لأنه لم يجد فيه ، في شخص والديه ، الحب المطمئن الذي كان ينشده . هذا ما عبّر عنه طفل عندما قال : « لا أحد يحبني ، لذا أحب نفسي »[158]. هكذا قد تطمر في الطفل طاقة المحبة والعطاء ، وقد يصبح جلّ سلوكه المستقبل بما فيه سلوكه الجنسي مدفوعاً بالرغبة النرجسية في الأخذ والاستيلاء دونما مقابل[159].

هذا الحب الوالدي الذي به يتمرس الولد على الحب لا يعني بالطبع ان يلبي الوالدون رغبات أولادهم دون استثناء . هذا الموقف ، الذي من شأنه ان يدعم النرجسية الطفلية ويخلّدها ، ليس حباً خالصاً بالفعل لانه لا يهتم كفاية بنمو الأولاد – ذلك النمو الذي لا يتم الا من خلال تجاوز تدريجي للمطاليب الغريزية الطفلية – بل يسعى لاشعورياً الى تحقيق أحلام طفولة الوالدين من خلال أولادهم[160]. الحب الوالدي الحق لا يلف الطفل الا ليدفع به الى الامام ، ليعطيه قدرة على احتمال الحرمان الذي يفرضه النمو والنضج ، ولكنه يقيس هذا الحرمان بقدرة الولد على احتماله ويقرنه بالتفهم والعطف والتقييم[161].

ثانيا – في التربية المدرسية[١٦٢]

هذا ويمكن للمدرسة ان تلعب دورها في تنمية هذا الاهتمام بالآخر الذي هو من المقومات الرئيسية لتربية العفة « وأنسنة » الجنس . ولكن ذلك يفترض ان تصبح المدرسة بالفعل مكاناً للتربية لا مصنعاً للشهادات وحسب كما هي الحال في كثير من الأحيان . هذا يفترض ان تنمي المدرسة العلاقات الانسانية بين طلابها من جهة ، وبينهم وبين المربين من جهة أخرى ، لا ان تكون هناك مجرد علاقة فردية ، عقلية ونظامية بحتة ، بين كل طالب على حدة ومدرّسه[١٦٣]! في تحقيق أجراه معي أحد طلابي حول موضوع « ادخال التربية الجنسية الى المدارس » ونشر في جريدة « نداء الشمال » الطرابلسية ، قلت ما يلي : « لا تربية جنسية صحيحة ممكنة في المدرسة ان لم تصبح غاية المدرسة لا التعليم وحسب بل التربية ، تربية العقل والقلب والروح والحاسة الاجتماعية . قلنا ان الجنس لا تكتمل انسانيته الا اذا كان يسعى الى لقاء حقيقي بالآخر . لذا وجب ان توقظ المدرسة في الشباب هاجس الآخر ، ان تساعدهم على التحرر من رواسب مركزية الأنا الطفلية ليعترفوا بوجود الآخر وباستقلاله عنهم وليهتموا به ويقيموا الوزن لآرائه وحاجاته وليدخلوا معه في حوار ويتعاونوا واياه على القيام بعمل مشترك . هذا يعني مثلاً ان تؤمّن المدرسة خارج أوقات الدوام المدرسي نشاطات متعددة من فكرية وفنية ورياضية وكشفية واجتماعية ، تساعد الشباب على انماء شخصيتهم واكتشاف الآخرين والتعاون معهم ، كما تمكنهم من تصعيد (أي اعلاء) وتهذيب الطاقة الغريزية المتأججة فيهم »[١٦٤].

هذا الاتصال المثمر بالآخرين ضمن المدرسة يمكن ان يتم ليس فقط في اطار نشاطات اضافية ، بل في صميم العمل المدرسي نفسه اذا تحول هذا العمل ، كما هي الحال في المدارس ذات النهج التربوي الحديث ، الى سعي مشترك يقوم به الطلاب بالتعاون فيما بينهم ، باشراف المعلم ومساعدته ، واذا ساهم الطلاب كجماعة في تقرير ما يتعلق بحياة الصف وعمله وفي الاشراف على محتوياته ، مع توزيع الأدوار فيما بينهم[165].

في المقال المذكور أعلاه ، قلت ايضاً : « ولكن التربية الجنسية لن تكتمل ان لم تشمل تربية الاتصال الفعلي بأفراد الجنس الآخر ، هذا الاتصال الذي يمكّن الشاب من تبديد الأوهام التي ينسجها عن الفتاة والنابعة من العقل الباطن ، فيراها لا كائناً عجيباً يسحره ويخيفه بآن ، بل شخصاً انسانياً مثله ، شخصاً ذا جنس يطبعه ولكنه لا ينحصر في جنسه بل يتجاوزه اذ يكوّن شخصية متكاملة ، فريدة . وكذلك الفتاة بالنسبة الى الشاب . هكذا يتعرف كل جنس على حقيقة الجنس الآخر ، فيمهد السبيل للقاء حقيقي بينهما ، وهذا اللقاء يمهد بدوره لاختيار واع ، ناضج ، فيما بعد ، لمن سوف يكون شريك الحياة »[166].

يمكن للمدرسة (كما يمكن أيضاً لمنظمات الشباب[167]) ان تساهم في تأمين شروط هذا الاختلاط البنّاء[168]. قد يتمّ ذلك عن طريق المدرسة المختلطة ، اذا تأمنت لها شروط تربوية صحيحة[169]. كما انه قد يتم بوسائل أخرى ضمن اطار المدرسة ايضاً : « أرى انه بوسع المدرسة ان تؤمّن لقاءات بين جماعة من الشبان وجماعة من الشابات في اطار النشاطات التي أتيت على ذكرها[170]. في هذه

المناسبات التي يجتمع فيها أفراد من الجنسين لتبادل الآراء والتخطيط المشترك والتعاون على انجاح مشروع ما، تتسنى لكلا الطرفين فرصة التعارف والتلاقي على مستوى رفيع، شرط ان يشرف على هذه الاجتماعات مربون من الجنسين ذوو خبرة ونضوج »[171].

ثالثاً – في التربية الدينية

هذا الاتجاه الى الآخر الذي « يؤنسن » الجنس، يمكن للتربية الدينية ان تنميه وتعمّقه، اذا أعطيت في اصالتها. ولكن الحق يقال انها كثيراً ما تنحرف عن هدفها الأصيل، خاصة في مجال الجنس، تفسدها مواقف ومفاهيم غريبة عن روح التدين الصحيح تسربت اليها بتأثير عوامل نفسية واجتماعية وتاريخية. فالتربية الدينية في أمور الجنس لا تزال، في كثير من الأحوال، أسيرة مفهوم شرعي بحت للأخلاق، مفهوم يجعل من العفة فريضة قائمة بحد ذاتها، يدعمها الخوف من العقاب الالهي[172] ويغذيها احتقار للجسد واعتباره مصدر الخطيئة والدنس. كل ذلك يُفرغ العفة من معناها الأصيل جاعلاً منها سلوكاً ناموسياً اجوف وطهرية منتفخة متزمتة، كما أنه يتنكر لدين التجسد باحتقاره الأفلاطوني للجسد، ويصور الله بصورة طاغية همه ان يُنقص من حيوية الانسان وان يبتر ذلك الكيان البشري الذي هو خالقه. هذا فضلاً عن ان سلبية هذا الموقف « التربوي » لا بد لها ان تغذي الكبت الذي رأينا زيفه وأضراره[173]

أما التربية الدينية الاصيلة ، التي تُبذل الآن جهود متزايدة وناجحة لاستعادتها[١٧٤]، فأنها ، في صميمها ، تربية الاتجـــاه الى الآخر ، لانها تربية المحبة . فالمحبة هي ، في المنظار المسيحي ، الف الاخلاق وياؤها ، ولا قيمة للعفة الا بالاضافة اليها[١٧٥]! « المحبة ، يقول الرسول بولس ، هي كمال الناموس » (رومية ١٣ : ١٠) . العلاقة بين الانسان وربه ، تلك العلاقـة التي ينبغي ان يكون انماؤها هاجس التربية الدينية الحقة ، ليست علاقة بشرع انمـا هي علاقة بشخص ، بالذات الالهية ، وهي ، على وجه التدقيق ، جواب حب على الحب الالهي المغدَق على كل كائن بشري[١٧٦]! هنا تتخذ العفة كامل معناها . ذلك ان الحب الذي يقدمه الانسان جواباً على محبة ربه لا بد له ، كي يكون أصيلا ، ان يمر بمحبة الانسان الآخر ، ذلك الانسان الذي تنعكس في كيانه صورة الخالق . لذا قال الرسول يوحنا : « من قال انـــه يحب الله وابغض أخاه فهو كاذب » (١ يوحنا ٤ : ٢٠) ، وقال الرهبان الأقدمون : « اذا رأيت أخاك فقد رأيت ربك »[١٧٧]! لذا وجب على التربية الدينية ان تغذي هذين الحبين اللذين ، كما علم يسوع ، لا ينفصلان : « تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك ، هذه هي الوصية الاولى والعظمى في الناموس ، والثانية مثلها : تحب قريبك كنفسك . بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء » (متى ٢٢ : ٣٧ — ٤٠) . من موقف الحب هذا تنبع العفة بشكل طبيعي وحرّ ، صادرة عن كيان موحد يستقطبه الحب بكليته ، بما فيه قواه الغريزية (كما يتضح من ترداد عبارة « كل » في الآية أعلاه) . فمن أحبّ لا يرتضي فيما بعد ان يمتلك الآخر ويشيّئه ، انما يعتبره بمثابة « نفسه » ، شخصاً كريماً ، مستقلاً ، هاماً بحد ذاته . أليس هـذا جوهر

العفة ، قاعدة الممارسة الانسانية للجنس ؟ ولكن من كان عفيفاً على هذا المنوال لا يُبتر كيانه ولا تُنقص حيويته ، بل بالعكس يتحرر من قوقعة ذاته الخانقة باعترافه بالآخر ، الآخر الانساني والآخر الالهي ، ويغتني بالاتصال به . فالحب الالهي المغدق على الانسان ليس حباً خانقاً ، طاغياً ، انما همه ان يطلق الانسان في رحاب الوجود ، ان يفجّر فيه طاقات لا تُحدّ : « لقد جئت لتكون لهم الحياة ، وتكون لهم بوفرة » (يوحنا ١٠ : ١٠).

بمجمل الكلام ان تربية العفة او تربية الجنس - التي هي الشيء نفسه - ليست ، كما يُظن في كثير من الاحيان ، مجالاً مستقلاً ، قائماً بذاته ، **انما هي جزء لا يتجزأ من تربية الشخص ككل**[١٧٨] بحيث يسير دون عائق في خط النمو والنضج ويبلغ الى التعهد الواعي لذاته في اتجاه صميمي الى الآخر .

حواشي الفصل الثالث

١ ــ يقول جاك غيه .

« ... تحديد العفة على انها غياب الاتحاد الجنسي يعني افراغها من كل معناها . انه يعني ردها الى مجرد شريعة ، والاستسلام لارتكاس الخوف من الجسد الذاتي والخوف من الآخر ، ذلك الارتكاس الذي يحجب كل الاستلابات ويغلق على المرء في توقعة تأمل ذاته . انه يقود الى شجب الزواج والحب البشري ، ويتجاهل قوة الانجيل وحريته . كما انه يثير ، كرد فعل طفولي عليه ، العدوانية الحالية ضد كل اشكال الضبط الجنسي ، وتفشي الاثارة الجنسية » .

Jacques Guillet : La Chasteté de Jésus-Christ, p. 163, in Sexualité et Chasteté, «Christus», No. 66, tome 17, avril 1970.

راجع ايضا :

Dominique Bertrand : Pour une chasteté humaine, op. cit., p. 206.

٢ ــ راجع كوستي بندلي : العفة والحب من منظار سيكولوجي ، « النور » ، سنة ١٩٦٣ ، الاعداد ١ و ٢ و ٣ .

٣ ــ يقول ارنست ال :

« ذلك هو معنى العفة : احترام الغاية العليا المرصود لها الجنس » .

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 104.

٤ ــ راجع :

Jean-Claude Barreau : La Foi d'un païen, p. 34.

٥ ــ راجع :

Gabriel Marcel : Etre et Avoir.

٦ ــ راجع :

Emmanuel Mounier : OEuvres, 4 tomes, Ed. du Seuil.
Jean Conilh : Emmanuel Mounier, P.U.F., Paris, 1966.

٧ ــ راجع :

Louis Lavelle : L'Erreur de Narcisse, Ed. Grasset.

٨ ــ « لقد كتب فريدريك فون غاغرن ان العفة تحدد بالمعنى الذي يعطى للقاء الجنسي (...) الحصول على لذة خالية من

المعنى ، هذا ما يناقض العفة ، وما لا يجلب . . . اي فرح حقيقي او دائم » .

U. Beer : Amour ou érotisme ?, cité par Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 225, en note.

٩ ـــ هذا الخوف من الجنس (الذي يولد النفور) عامل اساسي في الاضطرابات العصابية او العقد النفسية التي تنسب بصورة شائعة الى مجرد « الحرمان الجنسي » . ويشير فرويد الى ذلك بقوله :

« ربما (. . .) اعتقد بعض الاطباء انني اعزو حالات العصاب névroses الى الحرمان الجنسي خاصة (. . .) صحيح ان الحرمان الجنسي شائع في ظروف حياة مجتمعنا (. . .) (الا) ان الحاجة الجنسية والحرمان لا يشكلان سوى احد العوامل التي تتدخل في اوالية العصابات . لو كان هذا العامل موجودا وحده ، لما ظهر المرض بل الدعارة . ان عاملا آخر ، لا يقل اهمية عن الاول ولكنه منسي في كثير من الاحوال ، انما هو النفور الذي يبديه العصابي تجاه الجنس ، عجزه عن الحب . . . » .

S. Freud : De la Psychothérapie (1904), p. 22, in La Technique psychanalytique, P.U.F., 1970.

راجع ايضا :

S. Freud : A propos de la psychanalyse dite «sauvage» (1910), p. 38, in op. cit.

١٠ ـــ يقول المحللان النفسيان لابلانش وبونتاليس :

« لقد رفض فرويد على الفوز الاطروحة العامية التي تربط الانزعاج الناتج عن الجنس بتحريم خارجي محض . . . (وقد كتب بهذا الصدد) : « برايي ، انه لا بد من وجود مصدر مستقل في الحياة الجنسية يطلق انزعاجا . . . » » .

Jean Laplanche et J.B. Pontalis : Fantasme originaire, fantasmes des origines, origine du fantasme, in «Les Temps Modernes», 19ème année, No. 215, avril 1964, p. 1842, note 24.

ويقول بوهييه :

« ان كان هناك من امر اثبته التحليل النفسي مثلا بوضوح . فهو ان اللذة والجنس واقعان نزاعيان conflictuelles في الاساس . وانهما كذلك بطبيعتهما » .

J.-M. Pohier : Recherche sur les fondements de la morale sexuelle chrétienne, pp. 181-182, in Au nom du Père. Recherches théologiques et psychanalytiques, Cerf, Paris, 1972.

وقد كتب الدكتور اندره مورالي ـــ دانينوس :

« يلاحظ ان الذين يصيحون ويطالبون اكثر من الجميع عاجزون

عن الاستفادة من التقدم الذي احرز (في ميدان الحرية الجنسية) ؛ لان علة الداء هي في ذواتهم وان هذه العلة تسمى القلق والشعور بالذنب (...) ان القلق والشعور بالذنب اذ يرتدان على نفس الشخص الذي يولدهما ؛ يحدثان نتائج خاصية لها تقريبا نفس الحدة التي كانت للقمع الخارجي سابقا (...) ان اعتبار النفس يلعب دوره هنا ، فاذا كان المرء لا « يعرف » ان يحسن القيام بما يسمح له مجتمع اليوم اخيرا بتتميمه بكل طمأنينة ودعاية ، فلا يسعه تحميله ، كما في السابق ، مسؤولية اخفاقه . ولكنه امر عسير جدا ان يتهم الانسان نفسه ! » .

Dr. André Morali-Daninos : Evolution des mœurs sexuelles, p. 132, Casterman, 1972.

هذا ما يلتقي مع ملاحظات المحللة النفسية الدكتورة فرنسواز دولتو حول ازدياد حالات العجز والبرودة الجنسيين في المجتمع الحديث مع ان الضغط الاجتماعي والتربوي قد خف .

Cité par André Dumas : Sexualité et langage, p. 1890, in La Sexualité, «Esprit», novembre 1960.

١١ — راجع :

François Duyckaerts : op. cit., p. 68.

Dr. André Berge : La Sexualité aujourd'hui, p. 161.

١٢ — راجع :

Dr. Guy Delpierre : L'Affrontement de l'inquiétude, p. 36, Ed. du Centurion, Paris, 1968.

١٣ — راجع :

Dr. Gérard Mendel : La Révolte contre le Père, pp. 61-62, p. 215.

André Stéphane : L'univers contestationnaire, pp. 190-191, p. 269, note 1, Petite Bibliothèque Payot, 1969.

Simone de Beauvoir : Le Deuxième Sexe, Tome 1, pp. 206, 222-228, 274, 276, 330, 336, 456, 459.

Mélanie Klein et Joan Rivière : L'Amour et la Haine, pp. 64, note 1 et 117, note 2.

Sigmund Freud : Moïse et le Monothéisme, p. 101, coll. «Idées», Ed. Gallimard, Paris, 1967.

François Duyckaerts : La Formation du lien sexuel, pp. 40-47, 65, 70-71, 228-249.

Marie Bonaparte : Eros, Saul de Tarse et Freud, in Revue Française de Psychanalyse, t. XXI, No. 1, janvier-février 1957, p. 29.

Marc Oraison : Le Mystère Humain de la Sexualité, pp. 16-17, pp. 45-49.

Marc Oraison : Le Célibat, pp. 44-46.

Otto Rank : Le Traumatisme de la Naissance, p. 43; p. 99, note 2; p. 13, note 1.

Denise Saada : L'Enfant et les Grandes Personnes, pp. 78-79, 80-81, Ed. Aubier-Montaigne, Paris, 1968.

Roger Bastide : La Sexualité chez les Primitifs, pp. 71-72, in Sexualité Humaine, Ed. Lethielleux, Paris, 1966.

Jean Cazeneuve : L'Ethnologie, pp. 183-199, «Le livre de poche», 1967.

Dr. André Berge : L'Education sexuelle et affective, pp. 11-12, 54, 140-144, 153-158.

S. Freud : Malaise dans la Civilisation, p. 46, note 2, Revue française de Psychanalyse, 1, tome 34, janvier 1970, pp. 9-80.

S. Freud : Le Tabou de la Virginité, in La Vie Sexuelle, pp. 66-80, PUF, 1970.

S. Freud : L'inquiétante étrangeté (1919), pp. 199-200, in «Essais de psychanalyse appliquée», «Idées», Gallimard, 1971.

E. Jones : La Phase phallique (1932) in J. Chasseguet-Smirgel et al. : La Sexualité féminine, pp. 59-65, PBP, 1970.

Herbert Marcuse : Eros et Civilisation, p. 78, Coll. «Points», Seuil, 1971.

Marlène Leist : L'Education sexuelle de votre enfant, pp. 105, 199, Bloud et Gay, 1972.

١٤ — يقول المحلل النفسي الكندي ميشال دانسرو :

« ان الأنا التائق الى التمايز الجنسي ، قد يمنعه الجزع من قبول الموت عن احدى امكانياته ، المثلة بالجنس الآخر ، لتأكيد كيانه الشقي sexué (المنفصل) . وقد يفضل المحافظة على وهم الاكتمال الجنسي . لذا فقد يتهرب من النضج الجنسي « أنا » ضعيف يحس نفسه غير موجود ان لم يكن كل شيء ، اي ان لم يكن الله . . . » . راجع :

Michel Dansereau : Freud et l'Athéisme, p. 117, Desclée, 1971.

وبعبارة اخرى ينبغي للمرء ان يقبل عميقا ، وليس فقط على الصعيد العقلي ، انه لا يجمع في ذاته كل الطاقات الانسانية ، لانه كائن شقي يمثل فقط احدى الامكانياتين الانسانيتين . بشرط هذا الاقرار بحدوده الكيانية ، يمكنه ان يكتشف حقيقة الآخر كمتميز عنه ومكمل له ، وان يسلك طريق الاكتمال الحقيقي بلقاء الآخر ، لا الاكتمال الوهمي بالاكتفاء بالذات . راجع ايضا :

Jacqueline Bergeret : Suite pour Eve. La Femme et

sa psychanalyse, pp. 44-45, Le Centurion, 1973.

١٥ — يقول فرويد :

« ... فيما يتعلق بالانسان ، يحدث ان متطلبات الغرائز الجنسية ، التي تتجاوز الفردية بكثير ، تبدو له خطرا يهدد اما بقاءه الذاتي اما اعتباره الواجب لنفسه » .

S. Freud : Une difficulté de la psychanalyse (1917), p. 139, in Essais de Psychanalyse appliquée, «Idées», Gallimard, 1971.

وتقول المرشدة الزوجية مرغريت لامبير بهذا الصدد :

« ان شريكا من الجنس الآخر ... يمثل دوما ، الى حد ما ، تهديدا ، بقدر ما يخشى المرء ان يبتلع ، ان يلتهم منه .

« كثيرا ما يعبر فتيات وفتيان عن هذا الخوف ، رغم سهولة العلاقات الحالية (بين الجنسين) ... » .

Marguerite Lambert : Amour vécu. Journal d'une conseillère conjugale, pp. 39-40, Resma, 1973.

١٦ — يقول كريستيان دافيد :

« كل حب اغتصاب للفرد ، من حيث ينظر اليه كوحدة متوازنة في توزيع طاقاتها وتوظيفها ، كل حب يفترض تحطيم لقوقعته النرجسية » . وايضا :

« ... ان الرغبة في تحطيم حدود الانا ميزة اساسية للحب الجنسي . يستشهد فرويد بقول جلال الدين : « حيث يستيقظ الحب ، يموت الانا ، هذا الطاغية القاتم » » .

وفي موضع آخر يقول :

« ... ان الحب ، بالاضافة الى هدف اشباع الرغبة بامتلاك الموضوع ، يفترض ... ايضا بطبيعته « تنازلا عن الشخصية الذاتية » (فرويد) ، تنازلا يمكن اعتباره صدى ، ونقلا على الصعيد النفسي للغاية الافراخية التي للجنس الفيزيولوجي » . راجع :

Christian David : L'état amoureux. Essais psychanalytiques, pp. 33-35, p. 123, p. 131, PBP, 1971.

ويقول دومينيك برتران :

« ان هذا العجز « اللحمي » عن البقاء وحيدا هو اساس الاضطراب الجنسي ، والسبب الذي لاجله يذل هذا الاضطراب المرء وقد يرعبه ، ذلك انه يزعزع حتى الجذور اكتفائيتنا واسقاطاتها . ان الجنس يعيدني الى مركزي الحقيقي : فلست سوى فرد في شبكة نقل الحياة الهائلة التي هي النوع البشري » .

Dominique Bertrand : Pour une chasteté humaine, p. 219, in Sexualité et Chasteté, «Christus», No. 66, tome 17, avril 1970.

١٧ — عن مسؤولية التربية في هذا الصدد ، قالت مونيك غونو :

« ان تربية متشددة او ضيقة بافراط تتوصل الى خلق مكبوتين ينزعون الى الاحتفاظ لأنفسهم بما ينبغي ان يهبوه في خط الجنس المكتمل والحب . ان طلاب الصفوف التحضيرية للمباريات الكبرى ، مثلا ، يستقطب احيانا عملهم كل افكارهم ونشاطهم الى حد انه لا يعود اي شيء آخر موجودا بنظرهم . وانك لتجد بعضهم في سن الرشد مثقلين بالمسؤوليات المهنية ولكنهم غير ناضجين من حيث عاطفتهم ومعقمون نهائيا » .

Monique Gueneau : L'Enfant et son désir d'aimer, p. 64, Le Centurion, 1971.

١٨ — يقول جورج فيليب برابان :

« ايا كان حبها ، فالأم (...) ليست فقط مصدر هبة بل انها ايضا مصدر حرمان : انها لا تثير غبطة الاشباع وحسب ؛ بل الألم ايضا والخيبة والغيظ ، عندما تتأخر في التخفيف من جوع ولدها » .

Georges Philippe Brabant : Clefs pour la Psychanalyse, p. 35, Seghers, 1971.

ويقول الدكتور وينيكوت ، مخاطبا الأم :

« ان طفلك يعرف جيدا كيف يغضب . مهما فعلت ، ستكون لحظات تخيبينه فيها وسيبكي من الغضب ... لفترة بضع دقائق ، ينوي حقيقة تدمير الاشخاص والاشياء او ، على الاقل ، ايذاءهم » .

Dr. D. Winnicott : L'Enfant et sa famille, p. 66.

١٩ — راجع :

S. Freud : Sur la Sexualité féminine (1931), p. 141, p. 150, in La Vie sexuelle, PUF, 1970.

٢٠ — عن هذه الصورة المرعبة للأم ، وبالتالي للأنثى ، نجد نموذجا في رواية « مورافاجين » لبليز ساندرار ، حيث ورد :

« المرأة تحت تأثير القمر ، هذا الانعكاس ، هذا الكوكب الميت ، ولذلك كلما انجبت المرأة ، كلما ولدت الموت . الأم رمز التدمير اكثر منها رمز التوليد ، واي منهن لا تفضل ان تقتل وتفترس اولادها لو كانت تضمن بذلك ان تربط الذكر بها ، ان تحتفظ به ، ان تتداخل واياه ، ان تبتلعه من اسفل ، ان تهضمه ، ان تنقعه في داخلها ، محولا الى جنين ، وان تحمله هكذا طيلة حياتها في بطنها ؟ لأن هذا ما تؤول اليه كل آليات الحب هذه ، الى ابتلاع الذكر واختفائه » .

Blaise Cendrars : Moravagine, p. 76, La Guilde du Livre, Lausanne, 1961.

٢١ — راجع :

Karen Horney : La Peur devant la femme (1932), in J. Chasseguet-Smirgel et al : La Sexualité féminine, pp. 48-49, PBP, 1970.

٢٢ ــ ومن اسباب الخوف من المرأة ، كما يثبتهــا التحليــل النفسي :

١) الرعب الذي يعتري الصبي عندما يكتشف غياب القضيب عند البنت ، فيستيقظ فيه الخوف من الخصي ، وقد يبقى هذا الخوف فيما بعد ، مرتبطا لا شعوريا بجسد المرأة . راجع :

S. Freud : L'Organisation génitale infantile de la libido (1923), pp. 115-116, in La Vie sexuelle, PUF, 1970.

S. Freud : De quelques conséquences psychiques de la différence anatomique entre les sexes (1925), p. 127, in La Vie sexuelle.

S. Freud : Le Fétichisme (1927), p. 135, in La Vie sexuelle.

٢) هذا السبب مرتبط بسبب آخر يوضحه فرويد ، الا وهــو خوف الرجل من ان تفقده المرأة رجولته . راجع :

S. Freud : Le Tabou de la Virginité (1918), pp. 71-72, in La Vie sexuelle.

S. Freud : Nouvelles Conférences sur la Psychanalyse (1932), p. 34, «Idées», Gallimard, 1971.

٣) ويبين فرويد ايضا ان المرأة ، من حيث هي « الغــريبة » ، يمكن ان تكون مكان اسقاط النزعات العدوانية الكــامنة في الفــرد نفسه ، ولهذا السبب تبدو غامضة ومقلقة . راجع :

S. Freud : Le Tabou de la Virginité, pp. 71, 73.

٤) الخوف من المرأة قد يرتبط ايضا بالخوف من دم الحيض ، هذا الدم نسبت اليه كثير من المعتقدات خصائص سحرية مقلقة . راجع :

Dr. André Morali-Daninos : Evolution des mœurs sexuelles, p. 21, Casterman, 1972.

٥) وقد يعود الخوف من المرأة الى الخوف من التبعية تجــاه الأم . هذا الخوف الذي تمتد جذوره الى خبرة التبعية الكاملة التي يعيشها الرضيع . راجع :

Dr. D.W. Winnicott : L'Enfant et sa famille, pp. 205-206, PBP, 1971.

٢٣ ــ راجع مثلا :

S. Freud : Le Tabou de la Virginité, pp. 76-77, in La Vie sexuelle.

S. Freud : La Disparition du complexe d'OEdipe (1923), p. 121, in La Vie sexuelle.

S. Freud : Quelques conséquences psychologiques de la différence anatomique entre les sexes, p. 126, in La Vie sexuelle.

S. Freud : Nouvelles Conférences sur la Psychana-

lyse, p. 164.

٢٤ ــ يقول فرويد ان فض بكارة المرأة يكبدها « جرحا نرجسيا ينشأ عن اتلاف احد الاعضاء » .

S. Freud : Le Tabou de la virginité (1918), p. 74, in La Vie sexuelle.

راجع ايضا :

Marie Bonaparte : La Sexualité de la femme (1951) in J. Chasseguet-Smirgel et al. : La Sexualité féminine, p. 46.

٢٥ ــ يعتقد فرويد ان الجنس عندما يبلغ مرحلته التناسليــة الطفولية حوالي الثالثة من العمر ، يتركز عند كل من الجنسين على القضيب ــ هذا ما يسميه « المرحلة القضيبية » stade phallique ــ وان البنت تتخذ البظر بديلا للقضيب ، ولكنها سرعان ما تتحقق انه لا يستطيع ان يقوم مقامه :

« ان اتجاهات ثلاثة للنمو تنبع من هذا الموقف المنقسم (موقف البنت من الجنس) . الاول يقود الى التحول عن الجنس بشكل عام . فالمرأة الصغيرة ، التي تخيفها المقارنة بينها وبين الصبي ، غير راضية عن بظرهـــا ، فتتخلى عن نشاطهـــا القضيبي ومعـــه عن الجنس عامة . . . » . راجع :

S. Freud : Sur la sexualité féminine (1931), in La Vie sexuelle, p. 143, p. 151.

٢٦ ــ راجع :

Charles Baudouin : L'Ame enfantine et la Psychanalyse.

Hélène Deutsch : Psychologie des femmes, 2 tomes, P.U.F., Paris, 1955 et 1959.

J. Chasseguet-Smirgel et al. : La Sexualité féminine, pp. 134-136.

Anne-Marie Rocheblave-Spenlé : L'Adolescent et son Monde, p. 59.

Denise Saada : L'Enfant et les Grandes Personnes, pp. 148-149, Aubier-Montaigne, 1968.

٢٧ ــ تبين المحللة النفسية الالمانية الاصل هيلين دوتش ، في كتابها عن « نفسية النساء » ، ان الخوف من الجنس قــد يسبب التخلي عن كل حياة عاطفية عند بعض الفتــيات اللــواتي يندفعن بكليتهن في ممارسة نشاطات ثقافية متنوعة ليهربن من نــزعاتهن الجنسية الذاتية التي يحسسنها خطرة :

« ان هذا النوع من الفتيات ينزعن الى ازالة الحب كليـــا من حياتهن . وحتى اذا كان لهن ميول انسانية او اجتماعية او علمية راقية ، ينقصهن الغنى الروحي النابع من الخبرة العاطفية . هــذا

النمط من الفتيات ، اللواتي تخلين عن كل حياة عاطفيـــة ، ينصرفن طيلة فترات طويلة الى « موضوعية » نرجسية وباردة ، الخطر كامن هنا في نجاح هذا الاعلاء الكامل الذي قد يبتر الحياة العاطفية نهائيا . تلك الفتيات مهددات ، في مجرى حياتهن اللاحقة ، بالعصاب » .

Hélène Deutsch : La Psychologie des Femmes, t. 1, Enfance et Adolescence, p. 115, PUF, 1959.

وتقول الكاتبة نفسها ان الهرب قد يتخذ بالعكس ، عنــد بعض الفتيات ، شكل « هرب الى الامام » في حرية جنسية ظاهرية تتخـذ احيانا شكلا استحواذيا obsessionnelle واضحا . الا ان هــذه النشاطات الجنسية المتعددة تغذي القلق عندهن عوض ان تلغيه . راجع :

Hélène Deutsch : op. cit., p. 114.

٢٨ ــ راجع :

Dr. A. Hesnard : Psychanalyse du lien interhumain, pp. 67, 106, P.U.F., Paris, 1957.

٢٩ ــ راجع :

Pierre Bovet : Le Sentiment religieux et la Psychologie de l'enfant, Ed. Delachaux et Niestlé, Neuchatel-Paris, 1951.

Eve Lewis : Les Enfants et leur Religion, Spes, Paris, 1967.

٣٠ ــ يذكر ارنست ال في كتابه « من الطفل الى الراشد » حالة عفة عصابية نتجت عن ارتباط ، عائد الى خبرة طفولية ، بين الجنس والشعور بالاثم . راجع :

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, pp. 216-217.

وعن ازدواجية الافتتان بالجنس والخوف منه ، النـــاتجة من التعلقات الاوديبية ، راجع :

J.-M. Pohier : Le Célibat sacerdotal. Aspects théologiques et psychologiques, pp. 349-354, in Psychologie et Théologie, Cerf, 1967.

٣١ ــ يوضح المحلل النفسي جورج موكو قلق الاضطـــلاع بالجنس عند الذين ينتمون الى فصيلة « الدون جوان » ، « فيطيرون من امراة الى امراة ، ويغزونهن كلهن ، اذ ان هذا التنقل الدائم يحول دون ان تصبح اية منهن خطرة » . ويقول الكاتب ان هــذا القلق يجعلهن « يجتنبون كل علاقة عاطفية حقيقية و . . . يهربون من حياة الزوج التي قد تستقر بالزواج » ، ذلك ان الزواج من شأنه ان يكرر الزوج الوالدي وان يظهر المراة بالتالي ؛ بالنسبة لعقلهم الباطن ، بمظهر الأم المحرمة والمشتهاة ابدا . لذا فسلوك الدون جوان توجهه غاية لاشعورية الا وهي « ابعاد الشريكة الجنسية ، وانكارها بشكل

من الاشكال ... » .

Georges Mauco : Les Célibataires, p. 128.

ويقول المحلل النفسي الالماني هورست ابرهارد ريشتر ان شيئا من هذا حاصل في التهافت على الجنس في المجتمع الحاضر :

« ... هناك شيء اكيد ، الا وهو أن الصورة السطحية التي يقدمها مجتمعنا الحاضر ، صورة حماس للجنس لا يعتريه خوف ... لا تثبت سوى تحول الدفاع التقليدي ضد الجنس الى هرب الى الامام ، ليس بأقل من الاول مشحوننا بالجزع » .

Horst-Eberhard Richter : Psychanalyse de la famille, p. 33, Mercure de France, 1971.

راجع ايضا :

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 102.

٣٢ — راجع :

Hélène Deutsch : Problèmes de l'adolescence, pp. 35-38.

٣٣ — يبين مارك اوريزون ان المراهق ، من خلال توقه الى الاندماج في عالم الراشدين ، من خلال هذا التطلع المستقبلي عنده ، يكتشف بعده الزمني وبالتالي يكتشف نفسه سائرا نحو الموت . راجع :

Marc Oraison : La Mort... et puis après ?, pp. 40-43 Fayard, 1968.

٣٤ — راجع :

H. Deutsch : op. cit., pp. 82-89.

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, p. 22.

Charles Combaluzier : Dieu demain, pp. 177-178, Seuil, 1972.

ويصف لنا الروائي ريشارد ليوالين التزامن بين اليقظة الجنسية عند المراهق ووعيه بأنه حلقة في سلسلة الاجيال . يقول بطل الرواية : « في هذه السلسلة التي لم تكن لها بداية او نهاية ، كنت حلقة مثلهم » . راجع :

Richard Llewellyn : Qu'elle était verte ma vallée ! p. 289, Jeheber, 1949.

ومن جهة اخرى ، يظهر كريستيان ده لاكامباني التلازم الصميمي بين الرغبة والموت ، اذ يقول :

« هناك علاقة بين التقسيم انا — العالم ، داخل — خارج ، من جهة ، والرغبة من جهة اخرى : فالرغبة هي دوما رغبة في الغاء هذه الحدود . الا ان الشعور الذي يحس به المرء ، في أوج المتعة ، بفقدان حواجزه الداخلية ، ليس سوى شعور بالموت ... هكذا يبدو ايروس (الحب) مرتبطا جوهريا بثاناتوس (الموت) ... » .

Christian Delacampagne : Antipsychiatrie. Les voies du sacré, p. 133, Grasset, 1974.

٣٥ ــ راجع :

H. Deutsch, op. cit., p. 80.

Dr. G.-Ph. Guasch : L'Adolescent, son corps et «les autres», 2, L'Ecole des Parents, sept.-oct. 1971, pp. 48-59.

٣٦ ــ راجع :

Hélène Deutsch : op. cit., pp. 81-89.

يعتقد المحلل النفسي الدكتور رينه لافورغ ان المجتمع الحديث « بحجة المساواة في الحقوق » ، يتجه نحو « اللاتمايز بين الرجل والمرأة » ، مما يحمي النرجسية اذ يجعل من الحب اتجاها الى المثل لا خروجا من الذات باتجاه الآخر :

« ان هذه المساواتية تصل الى حد انكار كل فارق جنسي ، وذلك على حساب كل حب ، ما عدا حب النرجسية ، هذه العبادة العقيمة للذات » . راجع :

Dr. René Laforgue : Psychopathologie de la souffrance (1962), p. 247, in Au-delà du Scientisme, Mont-Blanc, Genève, 1963.

٣٧ ــ راجع :

H. Deutsch : op. cit., pp. 80-81.

٣٨ ــ راجع :

H. Deutsch : op. cit., p. 111.

٣٩ ــ تقول آن فيليب في مذكراتها ، متحدثة عن لقائها بمن اصبح زوجها فيما بعد :

« كان ممكنا ان يكون لقاؤنا لحظة رائعة وحسب ، تذكارا جميلا لا خطر فيه وليس من شأنه ان يغير شيئا في مجرى حياتنا . لا شيء اقل مغامرة من المغامرات . لا يعطي الانسان فيها شيئا اساسيا ، وبفضل ذلك يعتقد انه حافظ على نفسه ولكن بئس تلك المحافظة ، اذ ان المرء ، بكثرة ما يستعمل ، من مغامرة الى مغامرة ، كلمات واعمالا لا يستحقها ، يخسر نفسه شيئا فشيئا ، كمثل نسيج يتآكله الزمن قبل أن يستخدم » .

Anne Philipe : Le Temps d'un soupir, p. 135, Le Livre de poche, 1970.

خسارة النفس هذه من خلال محاولة المحافظة عليها ، نجدها ايضا في رواية فرنسواز ماليه ــ جوريس « الغرفة الحمراء » . ان بطلي الرواية ، هيلين وجان ، اذ شعرا بأن علاقتهما الجنسية اخذت تتحول الى حب ، رفضا ان يستسلما لهذه الخبرة التي بدت لهما خطرة لأنها كانت تدفعهما الى تجاوز النفس نحو الآخر . لذا انصبا على قتل حبهما وحرصا على ان تبقى علاقتهما مقتصرة على تبادل لذة

سطحي . وقد بلغا مأربهما . تقول بطلة الرواية :

« لقد انقذنا من الحب ، واصبحنا متحررين من متطلباته . لقد انقذنا من التبعية والرصانة والاقرار والصفح . لقد انقذنا من الآخرين ومن انفسنا (. . .) لقد انقذنا الى الابد . لقد هلكنا » .

Françoise Mallet-Joris : La Chambre rouge, pp. 307-308, «J'ai lu», Paris, 1972, aussi pp. 273-274.

هذا الموقف كثير التفشي في عصرنا ، حيث كثيرا ما يعاش الجنس على انه لقاء نرجسيتين ترفض كل منهما ان يخرقها الحب . وتقول جاكلين بارجريه ان لسان حال كل من الشريكين يكون عند ذاك :

« لا يمكن للمرء ان يحب دون ان يخرق ، فلنسم اذا المجون حبا فنبقى هكذا سليمين » . راجع :

Jacqueline Bergeret : Suite pour Eve, pp. 84-85.

ويوضح الدكتور ساشا نخت ، نائب رئيس الجمعية الدولية للتحليل النفسي ، ان هذا النوع من الحب ، وان كان ، في الظاهر ، متجها نحو موضوعه ، الا انه مطبوع بالنرجسية الثانوية (اي المنطوية على ذاتها) ، ولذا فهو يحتمي لا شعوريا من موضوعه بتجريده من كل وجود ذاتي وتحويله الى مجرد انعكاس للذات . راجع :

S. Nacht : Le Narcissisme, gardien de la vie (1965), pp. 204-205, in Guérir avec Freud, PBP, Paris, 1971.

ويرى الدكتور مورالي دانينوس في « الحرية الجنسية » كما تفهم كثيرا في عصرنا ، اي كممارسة بحت جسدية للجنس خالية من العاطفة ، نمطا من الطهرية جديدا يقمع الجنس على طريقته ، اذ يبتره ، لا من بعده الغريزي كما في السابق ، بل من بعده العاطفي :

« ان الحرية الجنسية المفرطة تشكل ، الى حد ما ، طهرية معكوسة بفصلها الجسد عن الروح . يعتقد بعض الشباب انفسهم مذنبين اذا لم يفقدوا براءتهم مبكرا . من هنا نشأ جنس دون حب .

« ان الحرية الجنسية المطلقة التي اكتسبت اخيرا هي القوة القامعة التي تمنع الحب . في الماضي ، كانوا يحبون ويقمعون الجنس . اما اليوم فينتقلون بسهولة الى حيز الفعل ويقمعون الحب. لقد احتفظوا بالطهرية ولكنهم بدلوا فقط نقطة ارتكازها » .

Dr. André Morali-Daninos : Evolution des mœurs sexuelles, p. 132.

كل هذه الظواهر مرتبطة ، في آخر المطاف ، بالخوف من الجنس . بالرغبة من تجنب مغامرة الخروج الكلي من الذات الملازمة للجنس اذا عيش في كل ابعاده . هذا التجاوز للذات يحسه المرء وكأنه نوع من الموت . فيتراجع امامه ، وكأنه يحجم عن الحياة مخافة من الموت . يبين لنا المحلل النفسي كارل ستارن ، مقتفيا اثر غوته . كيف ان هذا الرباط بين الحب والموت يوقظ جزع الدون جوان ويمنعه

من الالتزام العاطفي . راجع .

Karl Stern : Refus de la Femme, pp. 217-220, Mame, 1969.

٤٠ — راجع :

Dr. André Berge : L'Education sexuelle et affective, pp. 140-144.

وقد يكون لهذا السلوك جذور عميقة ولاواعية تعود الى اول الطفولة ، كما تشهد مثلا تلك الحالة العيادية التي ترويها حنه سيغال ، وهي من مدرسة ميلاني كلاين الانكليزية للتحليل النفسي . انها حالة رجل كانت رغبته بانكار تبعيته الصادمة لأم عانى منها شديد الحرمان (اذ لم ترضعه من ثديها سوى يوم او يومين) ، تدفعه لاشعوريا ، في شبابه ، الى سلوك جنسي كان يعتبر بموجبه الفتيات التي كان يغويهن — وهن بائعات في محل تجاري كان يشغل فيه مركز مساعد المدير — بمثابة « صديقات قليلات الاهمية ، لا يصلحن سوى لأن يمتلكن منه ثم يحذفن ، حسب هواه » . هذا الموقف كان يشكل نكوصا الى مرحلة « الموضوع الجزئي » (الممتدة على الثلاثة او الاربعة شهور الاولى من الحياة) حيث لا تبدو الأم سوى مجموعة وظائف تتجسد بأعضاء معينة كالثدي واليدين . وبالفعل كان هذا الرجل يعتقد ، بصدد فتاتين من تلك الفتيات ، كانت علاقته بهما قصيرة بشكل خاص ، انهما « ربما لم تكونا تمثلان بالنسبة اليه سوى مهبل يعلوه ثديان » . راجع :

Hanna Ségal : Introduction à l'œuvre de Mélanie Klein, pp. 65-66, P.U.F., 1969.

٤١ — راجع :

André Stéphane : L'Univers contestationnaire.

Georges Mauco : Psychanalyse et Education, Aubier-Montaigne, 1967.

٤٢ — راجع :

Jean Brun : Aliénation et Sexualité, in «Esprit», novembre 1960, pp. 1812-1813.

٤٣ — راجع :

Hélène Deutsch : op. cit., pp. 89-90, p. 140.

هكذا فكثيرا ما يتخذ ما يسمى « بالحرية الجنسية » شكل نوع جديد من الامتثالية ، اي من التقيد السلبي بأعراف مقررة تعاكس الاعراف التقليدية ولكنها لا تختلف عنها من جهة ممارسة الضغط الشديد على الافراد ومحاولة قولبتهم بموجبها . ومن بين تلك الضغوط التي كثيرا ما تتحكم بالجيل الحاضر ، تذكر المرشدة الزوجية مارغريت لامبير الآراء الشائعة التالية : « العذرية اصبحت شذوذا ، رفض الاستسلام اصبح عيبا ، انعدام الاختبارات الجنسية

اصبح يعتبر سببا للفشل الزوجي ، الامانة اصبح ينظر اليها كالى « حماقة ضخمة » . راجع :

Marguerite Lambert : Amour vécu. Journal d'une conseillère conjugale, pp. 46-47, Resma, 1973.

وعن امتثالية اللا امتثالية عند شبيبة اليوم ، تقول اوديت تيبو :

« هذا يصل الى حد ان فتاة ، على سبيل المثال ، تمنح ذاتها لشاب لأنها تريد ان « تفعل ما يفعله الآخرون » ولشعورها بالخجل لكونها لا تزال عذراء ، اكثر من كونها تحبه او ، على اقل تعديل ، تشتهيه ، وان شابا يعتقد نفسه « شاذا » ان لم يكن بوسعه ان يبرز لائحة محترمة من الفتوحات » .

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, p. 119, Casterman, 1971.

وتقول الدكتورة فرنسواز بينازيه ـــ مارتي في كتاب قيم لها عن « الأم واليقظة الجنسية عند طفلها » :

« ان الحرية الجنسية (في عصرنا) تقوم في كثير من الاحوال على تحريض كل واحد على القيام بالعمل الجنسي مهما كلف الامر ، وعلى عدم احترام رغبة من يختارون ، على الاقل مؤقتا ، شيئا من الامتناع. حاليا يميلون بشكل مؤسف الى الخلط بين الحرية الجنسية من جهة وفريضة ممارسة العلاقات الجنسية من جهة اخرى . . . اما حرية عدم ممارسة العلاقات الجنسية ، فينزعون الى اعتبارها شذوذا » .

Dr. Françoise Bénazet-Marty : La Mère et l'éveil sexuel de son enfant, pp. 161-162, Centurion-Grasset, 1972.

٤٤ ـــ يقول المحلل النفسي الانكليزي ادوارد غلوفر :

« قد يكون الكبت معروفا اكثر من كل الاواليات اللاواعية الاخرى ولكنه مفهوم اقل منها كلها على حقيقته » .

Edward Glover : Freud ou Jung ?, p. 56, PUF, 1954.

٤٥ ـــ راجع :

Albert Plé : Freud et la Morale, p. 145.

« في العاصمة النمساوية ، كان المهيمن على المجتمع بورجوازية منحلة خلقيا بالفعل ولكنها صارمة الاخلاق في الظاهر ، وكان هذ الوضع يولد نزاعات داخلية خطيرة عند افضل اعضائها واسرعهم عطبا » .

Francis Pasche et François Richaud : Freud, sa vie, son œuvre, p. 19, in Traité de Psychanalyse, 1, Histoire, P.U.F., 1965.

٤٦ ـــ ان المجتمع الحديث يشكل تربة صالحة بصورة خاصة لمثل هذا التمزق ، لانه بآن واحد يثير النزعة الجنسية بحدة ويقمع تحقيقها . لقد كتب كريستيان ده لاكامباني بهذا الصدد :

. « المرأة تكشف جسدها اكثر فاكثر ، ولكن ذلك لا يعني دوما انها مستعدة لتقديم ذاتها ، اما الاغتصاب ، فلا يزال يعاقب بشدة . هذا هو بالضبط نموذج الضغط المزدوج ، الوضع الذي لا يطاق ولا يمكن الخروج منه . هكذا فالحاجات ، التي تثيرها الصور : ازدادت : بينما القمع ، الجزائي والاجتماعي : لم ينقص » .

Christian Delacampagne : Antipsychiatrie. Les voies du sacré, p. 131, Grasset, 1974.

اذا كان هذا صحيح بالنسبة للمجتمع الغربي . فكم بالاحرى بالنسبة لمجتمع كالمجتمع اللبناني لا يزال يضغط على الجنس بقسوة بفعل تقاليده الشرقية فيما يستورد من الغرب ازياءه وصوره المثيرة !

وبصدد هذه الصور ، يستشهد جان برون بهذا النص لروجيه مونييه الذي يوضح كيف ان الدعاية ووسائل الاعلام الحديثة تقدم العري ، تعرضه : انما « على نمط الرفض » :

« هكذا الجسد المكشوف على الشاشة انما هو معطى ومرفوض بآن واحد . مرفوض من حيث انه اعطي واتخذ كل مظهر جسد حقيقي . مرفوض بقدر ما يبدو معطى اكثر . هذان النهدان المقدمان للاعين من العيون هما مرفوضان — مقدمان . ولما كان لرفضهما اهمية (فأن ما هو خيالي دائما مرفوض) : لو لم يكونا مقدمين بهذا الشكل العجيب (الى حد انهما لم يعودا يبدوان خياليين في كشفهما هذا ، (...) انني احرم مما يرويني بالظاهر » .

Roger Munier : Contre l'image, Paris, 1963, p. 59, cité in Jean Brun : La Nudité humaine, p. 52, Fayard, 1973.

٤٧ — راجع :

S. Freud : Inhibition, Symptôme et Angoisse, p. 30, P.U.F., Paris 1965, cité par A. Plé : op. cit., p. 136, note 13.

Dr. Marcel Eck : L'Homme et l'Angoisse, p. 342, Ed. Fayard, Paris, 1964.

S. Freud : Nouvelles Conférences sur la Psychanalyse, p. 110, «Idées», Gallimard, 1971.

٤٨ — منير وهيبه الخازن : معجم مصطلحات علم النفس ، دار النشر للجامعيين .

٤٩ — راجع :

S. Freud : Métapsychologie, p. 47, Coll. «Idées», Ed. Gallimard, Paris, 1968.

S. Freud : Cinq leçons sur la Psychanalyse, pp. 25-26, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1966.

S. Freud : Le Rêve et son Interprétation, pp. 84-90, «Idées», Gallimard, 1971.

وبصدد الفرق بين الكتمان والكبت ، راجع :

S. Freud : La Psychanalyse et l'établissement des faits en matière judiciaire par une méthode diagnostique (1906), pp. 51, 55, in Essais de Psychanalyse appliquée, «Idées», Gallimard, 1971.

٥٠ — راجع :

S. Freud : Psychanalyse et Médecine, pp. 121-122, Coll. «Idées», Ed. Gallimard, Paris, 1968.

S. Freud : Abrégé de Psychanalyse, p. 55, P.U.F., Paris, 1967.

Georges Mauco : L'Inconscient et la Psychologie de l'Enfant, p. 176, PUF, 1970.

٥١ — راجع :

S. Freud : Métapsychologie, p. 145.

٥٢ — يقول المحلل النفسي السويسري الدكتور شارل اوديه :
« ليس الكبت سوى الغاء كل عنصر جزء من حقل الاحساس الداخلي ، اي ازالته من الوعي » .

Dr. Charles Odier : L'Angoisse et la Pensée magique, p. 71, Delachaux et Niestlé, 1966.

راجع ايضا :

Georges Philippe Brabant : Clefs pour la Psychanalyse, p. 80, Seghers, 1971.

٥٣ — راجع :

S. Freud : L'avenir d'une illusion, pp. 116-117, Denoel et Steele, 1932, cité par A. Plé : op. cit., p. 86.

يقول فرويد :

« ... الطفل عاجز عن ان يكبح بعمل نفسي عقلي عددا كبيرا بهذا المقدار من النزعات الغريزية الموجودة فيه ، تلك النزعات التي لن يكون لها مكان في مستقبله ككائن متحضر . ولذا فلا بد له ان يتغلب عليها بأعمال كبت ، يختفي عادة وراءها دافع خوف » .

S. Freud : L'Avenir d'une illusion (1927), pp. 60-61, PUF, 1971.

راجع ايضا :

Georges Philippe Brabant : op. cit., pp. 80-81.

٥٤ — راجع :

S. Freud : Nouvelles Conférences sur la Psychanalyse, p. 104, Gallimard, Paris, 1936, cité par A. Plé : op. cit., pp. 57-58.

يقول فرويد :

« ... ان الرغبة المكبوتة لا تزال باقية في اللاوعي » .

S. Freud : Cinq leçons sur la Psychanalyse, p. 29, PBP, 1965.

وفي كتاب آخر :

« ان الكبت ... يجعل العناصر النفسية ممتنعة ويحفظها على حالها بآن واحد ... » .

S. Freud : Délire et Rêves dans la « Gradiva » de Jensen (1906), p. 170, «Idées», Gallimard, 1971.

٥٥ ــ راجع :

S. Freud : Inhibition, Symptôme et Angoisse, pp. 86-87, cité par A. Plé : op. cit., pp. 56-57.

٥٦ ــ راجع :

S. Freud : Psychanalyse et Médecine, pp. 121-122, Coll. «Idées», Ed. Gallimard, Paris, 1968.

Charles Baudouin : L'Ame et l'Action, pp. 44-45, 84, Ed. du Mont-Blanc, Genève, 1969.

يقول فرويد ان الكبت يجعل النزعة الغريزية المكبوتة بمعزل عن تأثير « الأنا » (ich) وهو يعرفه تلك الطاقة الشخصية التي تمكن الانسان من الاضطلاع بغرائزه وتوجيهها وفق العقل والواقع .

راجع :

S. Freud : Inhibition, Symptôme et Angoisse, pp. 13-14, P.U.F., 1968.

ويضيف :

« عندما ينجح الأنا في الاحتماء من نزعة غريزية خطرة ، بواسطة عملية الكبت مثلاً ، فيكون طبعا قد كبت هذا الجزء من الـ « هذا » (id) (اي مجال الغرائز اللاواعية) واضر به ، ولكنه يكون قد وهبه بآن واحد نوعا من الاستقلال وتخلى عن جزء من سيادته الذاتية . هذا ينتج عن طبيعة الكبت الذي هو ، في الحقيقة ، محاولة هرب . فالمكبوت وضع الآن خارج القانون ، واقصي عن التنظيم الكبير الذي يحققه الأنا ، ولم يعد خاضعا سوى للنواميس التي تتحكم باللاوعي » .

S. Freud : op. cit., p. 81.

ويقول كارل غوستاف يونغ من جهته :

« ... ان هذه الناحية المظلمة من النفس (اي الناحية المكبوتة) تتوارى عن جهود التنقيب الواعي التي يقوم بها الفرد . لا يمكن للمريض ان يتفاوض مع ظله المجهول ، ليس باستطاعته لا ان يحسنه ، ولا ان يتأقلم معه ، وحتي لا ان يتخلى عنه ، لانه ، بالواقع ، غير مسيطر على دوافعه الغريزية اللاواعية : بما انها مكبوتة ، فقد اقصيت عن ترتيب النفس الواعية واصبحت مركبات مستقلة ... » .

C.-G. Jung : Psychologie de l'Inconscient, p. 57, Georg, Genève, 1973.

كبت الغرائز يبقيها اذا على شكلها الفوضوي ، الاعمى ، غير الناضج ، يحول دون تطورها وارتقائها . هذا ما يفسر مثلا الفضول المنحرف الذي كثيرا ما يبدو عند الراشدين ــ الذين اضطرتهم تربية متزمتة على كبت الجنس في طفولتهم ــ تجاه الاشكال البذيئة او المنحرفة التي يتخذها الجنس وهي التي يتميز بها جنس لم يكتمل ولم ينضج ، بالضبط لانه كبت. يقول أ.س. نايل بهذا الصدد :

« الجميع تقريبا يحبون ان يقراوا في جرائد الاحد قصص الطلاقات الفاضحة ، وقصص الجرائم الجنسية (...) ان المتعة التي نجدها في الاستماع الى قصة ماجنة عائدة كليا الى تربيتنا غير السليمة فيما يتعلق بالجنس » . وايضا :

« ان التحريمات المتزمتة tabous والمخاوف التي هي في اساس سلوكنا الجنسي هي نفس التي توجد المنحرفين الذين يغتصبون ويخنقون الفتيات الصغيرات في الحدائق العامة ... » .

A.S. Neill : Libres enfants de Summerhill, pp. 186, 188, Maspéro, 1973.

٥٧ ــ يقول فرويد :

« ... ان ممثل النزعة الغريزية (اي مظهرها النفسي) ينمو بحرية ووفرة اكبر عندما يفلت ، بفضل الكبت ، من تاثير الوعي » .

S. Freud : Métapsychologie, cité par Georges Philippe Brabant : Clefs pour la Psychanalyse, p. 29.

ويقول الدكتور شارل اودييه :

« غنى طاقي من جهة ، فقر نفسي من جهة اخرى ، ذلك افضل تحديد للنزعات الغريزية التي ابقي عليه في حالة كبت » . راجع :

Dr. Charles Odier : L'Angoisse et la Pensée magique, p. 119, Delachaux et Niestlé, 1966.

ويقول اينياس لاب :

« ميزة عملية الكبت النفسية هي ... انها لا تحل ولا تلغي شيئا » .

Ignace Lepp : La Mort et ses Mystères, p. 111, Grasset, 1966.

٥٨ ــ يقول الدكتور رولان كاهين :

« محاولة حل نزاع تقتضي اولا ان نراه وندركه ، ان نعيه ، اي ان نفهمه حاوين في عمل الفهم هذا كل توافقياته harmoniques العاطفية وكل اصداءه الحشوية viscérales ، ان نتقبله ، ان نضطلع به مع شحنته الانفعالية ... » .

Dr. Roland Cahen : L'Agression quotidienne, p. 131,

in C.G. Jung : L'Homme et son Message, «Planète + Plus», octobre 1970.

٥٩ — راجع :

S. Freud : Ma vie et la Psychanalyse, pp. 38-39, Coll. «Idées», Ed. Gallimard, Paris, 1968.

S. Freud : Inhibition, Symptôme et Angoisse, p. 85.

Dr. André Berge : Les Psychothérapies, p. 111, PUF, 1968.

٦٠ — يقول الدكتور رولان كاهين :

« ... اللاوعي ... عالم يعج بالافضل والاسوا ، بالاسوا خاصة ، اذا تركناه في حالة غابة عذراء ، مثقلا بتقييد الأنا الواعي له وعدم تفهمه له ورفضه اياه ، بالافضل ، اذا توصلنا الى ادراك طاقاته الحية وتوجيهها ودمجها بالشخصية » .

Dr. Roland Cahen : op. cit., pp. 120-121.

ويستشهد هذا الكاتب بكلمة لفرويد بليغة :

« انني أغوص في المستنقعات ليتسنى للأجيال الطالعة ان تشيد كاتدرائيات جميلة » .

S. Freud, cité par R. Cahen : op. cit., p. 130.

٦١ — راجع :

Albert Plé : Freud et la Morale, pp. 61-62.

٦٢ — راجع :

S. Freud : «Civilized» Sexual Morality and Modern Nervous Illness, cité par A. Plé : Freud et la Morale, p. 59.

Joseph Goldbrunner : Sainteté et Santé, Ed. Desclée de Brouwer, Bruges, 1954.

يقول ا.س. نايل :

« ان كرهتم الجنس ، تكرهون الحياة . ان كرهتم الجنس ، لا يسعكم ان تحبوا قريبكم » .

A.S. Neill : Libres enfants de Summerhill, p. 192.

٦٣ — يقول الدكتور اندره برج :

« لكي يتم وعي حقيقي ، يجب ان يلتقي الكلام والانفعال » .

راجع :

Dr. André Berge : L'Enfant au caractère difficile, p. 150, Hachette, 1970.

٦٤ — يقول ا.س. نايل :

« يصدم الانسان دوما بالشيء الذي يثير اهتمامه اكثر من سواه . ان المتزمت اباحي ليست له الشجاعة الكافية لتعرية نفسه » .

A.S. Neill : Libres enfants de Summerhill, p. 111.

٦٥ — يوضح فرويد ان النزعات المكبوتة قد تظهر بشكل مستتر

في و من خلال الصعيد الكابت نفسه ، كان تتستر مثلا وراء تشدد عقلي او خلقي او ديني . راجع :

S. Freud : Délire et Rêves dans la «Gradiva» de Jensen, pp. 163-166, «Idées», Gallimard, 1971.

٦٦ — راجع :

Maryse Choisy : Problèmes sexuels de l'adolescence, p. 170, Ed. Aubier-Montaigne, 1954.

S. Freud : Ma .vie et la Psychanalyse, pp. 38-39.

٦٧ — راجع :

S. Freud : Trois Essais sur la Théorie de la Sexualité, pp. 50-52, Coll. «Idées», Ed. Gallimard, 1962.

٦٨ — يقول جان بول شاربيه :

« بكبتنا خطاب الرغبة خارج دائرة الكلام ، برفضنا ان نعيه ... مما كان من شأنه ان يسمح لها بأنسنته ، نضطره ان يستخدم ليظهر الاستعارات العصابية » .

Jean-Paul Charrier : La sexualité, fonction ou conduite ? p. 204, in Sexualité et Chasteté, «Christus», No. 66, tome 17, avril 1970.

٦٩ — يقول أ.س. نايل :

« ان الاشخاص الذين يكيلون الشتائم لفرويد لانه على حد تعبيرهم « يرى الجنس في كل مكان » هم انفسهم الذين رووا قصص ماجنة ، واصغوا اليها وضحكوا لها ... كل الناس تقريبا يحبون ان يطالعوا في جرائد الاحد قصص طلاقات فاضحة وجرائم جنسية . ومعظم الرجال يسردون لزوجاتهم القصص التي سمعوها في المكتب او المقهى » .

A.S. Neill : Libres enfants de Summerhill, pp. 185-186.

٧٠ — يقول أ.س. نايل :

« ان شجب الراشد لاهتمام الطفل بالقضايا الجنسية ، انما هو مرائي واحمق ، فليس هذا الشجب سوى اسقاط ، نقل للشعور الشخصي بالاثم الى الآخرين . ان الوالدين يعاقبون بقسوة على الاخطاء الجنسية لانهم هم انفسهم مهتمون ، بشكل حيوي مع انه غير سليم ، بهذه الاخطاء » .

A.S. Neill : op. cit., p. 186.

٧١ — راجع « اسئلة الشباب حول العفة » ، ص ٨٩ — ٩٣ ، منشورات بيت الشمامسة القبطي بالجيزة ، ١٩٦٩ .

٧٢ — راجع :

Julien Green : Moïra, Ed. Plon, Paris, 1950.

يذكر المحلل النفسي الالماني هورست ابرهارد — ريشتر الحالة

العيادية التالية : كان زوجان قد تبنيا ايديولوجية مضادة للجنس وذلك على سبيل عقلنة نصف عجز جنسي عند الزوج وعدم رضى الزوجة . الا ان رد الفعل العكسي هذا انهار اخيرا : فوقعت المراة في اغواء مراهق واقامت معه علاقات طويلة الامد سببت صراعا خطيرا بين الزوجين وادت الى طلاقهما . راجع :

Horst Eberhard-Richter : Psychanalyse de la famille, pp. 106-110, Mercure de France, Paris, 1971.

٧٣ — راجع :

S. Freud : Essais de Psychanalyse, pp. 246-247, P.B.P., 1963.

٧٤ — راجع :

S. Freud : Métapsychologie, p. 47, pp. 56-57.

٧٥ — راجع :

Wilfried Daim : Transvaluation de la Psychanalyse, pp. 169-170.

٧٦ — راجع :

Dr. André Berge : op. cit., pp. 175-176.

٧٧ — يقول أ.س. نايل :

« ان الاولاد الذين يربون على نظام لا يرتضونه كذبة طيلة حياتهم . فانهم لا يجراون ابدا على التعبير الحر عن انفسهم » .

A.S. Neill : Libres enfants de Summerhill, p. 147.

٧٨ — يقول الدكتوران جان دلاي وبيار بيشو :

« ان الصراع لا بد منه لنضج الشخصية وكثيرا ما يكون ، بفضل عملية الاعلاء ، مصدر لاسمى القيم الانسانية . ان بعض دراسات الاناسة الحضارية anthropologie culturelle تظهر انه ، حيثما يلاحظ غياب شبه كامل للتحريمات في التربية ، تميل الحضارة المعنية الى الركود والزوال » .

Jean Delay et Pierre Pichot : Abrégé de Psychologie, p. 113, Masson, Paris, 1967.

ويقول المحللان النفسيان لوبوفيسي وسوليه بالمعنى نفسه :

« ان بعض (الحضارات) ، التي تسمح بأرضاء لا حد له للحاجات الجنسية منذ فترة الكمون السابقة للبلوغ (اي الفترة الممتدة بين ٦ و ١٢ سنة تقريبا) ، تتميز بمحدودية نسبية في نمو الشخصية وفي نشاط الوظائف الفكرية العليا وفي القيم والاهتمامات النابعة من الاعلاء . ان حرمان الغريزة شرط سابق للتقدم في النمو ، على ان لا يكون هذا الحرمان مطلقا ، بل ان يبلغ حدا امثل . . . » .

S. Lebovici et M. Soulé : La Connaissance de l'enfant par la psychanalyse, pp. 485-486, PUF, 1970.

راجع ايضا بهذا الصدد حصيلة الاستقصاء الذي قام به انوين

Unwin سنة ١٩٣٤ حول ثمانين مجتمعا بشريا ، وقد اوردها الطبيب النفساني الانكليزي الشهير د.ج. واست في كتابه عن « الجنس المثلي » . راجع :

D.J. West : Homosexualité, p. 318, Ed. Charles Dessart, Bruxelles, 1970.

٧٩ — راجع :

S. Freud : Lettre à Pfister, 25 juillet 1922, in Correspondance Freud-Pfister, p. 135, Ed. Gallimard, 1966.

Antoine Vergote : Psychanalyse et anthropologie philosophique, in La Psychanalyse, science de l'homme, pp. 214-216, 221, Ed. Charles Dessart, Bruxelles, 1964.

يشير المحلل النفسي هورست — ابرهارد ريشتر الى انه من باب التأويل الخاطىء الاعتقاد بأن التحليل النفسي ينادي بموقف تربوي رافض لكل حرمان وكل نظام ، ويشير الى ان رايش نفسه ، الذي نادى بحرية جنسية واسعة ، يحذر من تربية خالية من الحرمان . راجع :

Horst-Eberhard Richter : Parents, Enfant et Névrose, p. 31, Mercure de France, Paris, 1972.

راجع ايضا :

S. Freud : Nouvelles Conférences sur la Psychanalyse, p. 196, «Idées», Gallimard, 1971.

Richard Evans : Entretiens avec C.G. Jung. Avec des commentaires de Ernest Jones, pp. 130-131, PBP, 1970.

٨٠ — راجع :

Dr. Daniel Widlocher : Préface à la Correspondance Freud-Pfister, pp. 35-36.

٨١ — راجع :

Dr. André Berge : L'Education Sexuelle et Affective.

Dr. André Berge : L'Education sexuelle chez l'enfant, P.U.F., 1952.

Dr. André Berge : Education familiale, Aubier-Montaigne, 1967.

Georges Mauco : L'Education de la sensibilité chez l'enfant, Ed. familiales de France, Paris, 1962.

Georges Mauco : Psychanalyse et Education.

Denise Saada : L'Enfant et les Grandes Personnes, Aubier-Montaigne, 1968.

Susan Isaacs : Parents et enfants, leurs difficultés quotidiennes, P.U.F., 1952.

Nicole Fabre : Vers la liberté. De l'enfant coupable à l'enfant responsable, Fayard, Paris, 1966.

Nicole Fabre : L'Education familiale et ses problèmes, Fayard-Mame, 1968.

Marlène Leist : L'Enfant et Dieu, Desclée, Paris, 1970.

Selma H. Fraiberg : Les Années magiques, pp. 152-165, 219-232, P.U.F., 1967.

Oscar Pfister : La Psychanalyse au service des éducateurs, Ed. Ernest Bircher, Berne, 1921.

يقول المحلل النفسي والمربي الفرنسي جورج موكو :

« كان فرويد ... يؤمن بأمكانية تغيير التربية بفضل معطيات معرفة اللاوعي . وقد قال لي وللدكتور لافورغ سنة ١٩٣٠ ان مستقبل التحليل النفسي هو في التربية ، اذ برأيه ان « الوقاية يجب ان تتقدم على العلاج » .

Georges Mauco : Les Célibataires, p. 215.

راجع ايضا :

Henry Tavoillot : Une expérience d'éducation sexuelle, Aubier-Montaigne, Paris, 1969.

Marie-Thérèse Van Eeckhout : Nos enfants devant la sexualité, Casterman, 1966.

Dr. Françoise Dolto : Le Cas Dominique, pp. 232-235, Seuil, 1971.

Dr. André Berge : Les Défauts de l'Enfant, pp. 137-155, PBP, 1968.

Georges Mauco : La Paternité, Editions Universitaires, 1971.

Colette Hovasse : Liberté et Autorité devant les enfants de notre temps, Le Centurion, 1965.

Dr. André Berge : Le Métier de parent, pp. 210-212, Aubier-Montaigne, 1956.

Marlène Leist : L'Education sexuelle de votre enfant, Bloud et Gay, Paris, 1972.

٨٢ — راجع :

Dr. André Berge : L'Education Sexuelle et Affective, pp. 161-163.

٨٣ — راجع :

Dr. André Berge : op. cit., p. 167.

٨٤ — راجع :

S. Freud : Introduction à la Psychanalyse, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1962.

S. Freud : Le Moi et le Ça, in Essais de psychanalyse, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1963.

S. Freud : Métapsychologie.

S. Freud : Abrégé de psychanalyse

S. Freud : Psychanalyse et Médecine.

S. Freud : Les Diverses instances de la personnalité psychique, in Nouvelles Conférences sur la Psychanalyse, «Idées», Gallimard, 1971.

٨٥ — يترجمها منير وهيبه الخازن « الأنا الاعلى » .

٨٦ — يقول جورج فيليب برابان :

« ان « الذات » (او « الأنا ») يبدو لنا في وسط هذا الصراع (اي الصراع النفسي) ، مجتهدا ان يوفق بين مختلف المصالح والمتطلبات المتنازعة ، والصادرة من « الهذا » ، ومن الواقع ومن « الأنا الاعلى » ، وان يحكم فيما بينها ، بينما هو يمثل مصالح الشخص ككل » .

Georges Philippe Brabant : Clefs pour la Psychanalyse, pp. 79-80, Seghers, 1971.

٨٧ — يقول الدكتور دنيس فالون :

« ... ان الاشراف « القشري » (اي الاشراف العقلي الذي يتم بواسطة قشرة الدماغ) على انماط السلوك السابقة (اي السابقة لهذا الاشراف) ، لا يجب تصوره على انه صراع بين « العقل » و « الهوى » : انما هو تحويل ، توجيه جديد لقوى هي بحد ذاتها ضرورية لا يستغنى عنها (اذ ليس من طاقات اخرى للعمل الانساني) . فالنضالية والتمردات السليمة والغضبات المقدسة ، نابعة دوما من ردود فعل « مزاجية » : فالفكر يوجه ويصحح ويركز ، ولكن القوى التي يوجهها قديمة (اي بدائية) . يستحيل علينا ان نستبدلها بأخرى بقدر ما يستحيل على الشخصية ان تستغني عنها » .

Dr. Denis Wallon : Les Ages de l'Enfant, tome 2, 3 à 11 ans, p. 130, Editions Universitaires, 1971.

٨٨ — راجع :

Gerda Kronfeld : Dans quelle mesure la psychanalyse peut-elle favoriser la personnalisation progressive ? pp. 80-81, p. 83, in Personnalisation. Etudes sur la Psychologie d'Igor Caruso. Desclée, 1971.

٨٩ — يستشهد المحلل النفسي جورج موكو بالعبارات الشهيرة التي خطها الشاعر الفرنسي الكبير رامبو Rimbaud عندما كتب وله من العمر اربعة عشر سنة ونصف : « ... خطأ القول : انا افكر je pense ، ينبغي ان يقال : يفكر بي on me pense : انا هو آخر » . ويعلق عليها بقوله :

« هذا افضل تعبير عن جزع ... المراهق ذات « الأنا » (او الذات) المنقسم بين ما يتساكن فيه من نزعات غريزية وكبت لا واع نابع من « انا اعلى » والذي لا يرحم ، و« الأنا الاعلى » هنا اومي

بشكل خاص » .

Georges Mauco : Les Célibataires, p. 125.

وتقدم المحللة النفسية البريطانية حنه سيغال صورة عن « انا » مسحوق بين الأنا الاعلى والدوافع الغريزية ، كما تبدو في حلم معالج بالتحليل النفسي . راجع :

Hanna Segal : Introduction à l'œuvre de Mélanie Klein, pp. 12-13.

٩٠ — راجع :

Georges Mauco : L'Inconscient et la Psychologie de l'Enfant, p. 187, PUF, 1970.

٩١ — يقول جورج موكو :

« ينبغي للسلطة ان تفقد سلطويتها اللاوعية . على الراشدين ان يقوموا بتربيتهم الذاتية وذلك بأن يخففوا في ذواتهم من متطلبات « أنا اعلى » تعسفي يفرض عليهم لا شعوريا تحريمات متزمتة tabous وشعورا بالأثم تجاه نزعاتهم الغريزية الذاتية ونزعات الشباب .

« عند ذلك فقط يستطيع الوالدون والمعلمون لا ان ينقطعوا عن شجب وكبت رغبات الطفل وحسب ، بل ان يقودوه الى الاعتراف بها ليسمحوا له بالتعبير عنها وضبطها » .

Georges Mauco : op. cit., p. 193.

٩٢ — راجع :

Dr. André Berge : La Sexualité aujourd'hui, p. 157.

٩٣ — راجع :

Dr. André Berge : L'Education sexuelle et affective, pp. 126-127.

٩٤ — راجع :

Denis de Rougemont : Comme toi-même, p. 250.

٩٥ — راجع :

Denis de Rougemont : L'Amour et l'Occident, pp. 264-265.

يقول المحلل النفسي دنيس فاس :

« صحيح ان الانسان قد « يفعل الحب » (اي يقيم العلاقة الجنسية) مدفوعا بالحاجة الى « الاستهلاك » ، ولكن الحب هو ما يسمح للانسان ان يتخلى عن حاجة الاستهلاك . لا يقدر ان يتخلى عن « فعل الحب » الا اذا احب ، اي اذا رغب الآخر من اجل ما هو عليه ، اي من حيث هو مختلف عنه ، متميز عن حاجته اليه ، غير ضروري » .

Denis Vasse : Le Temps du désir, pp. 39-40.

٩٦ — راجع :

Dr. André Berge : La Sexualité aujourd'hui, p. 167.
Dr. André Berge : Les Psychothérapies, pp. 161-162, P.U.F., 1968.

٩٧ — عن كون العفة الحقة مواجهة لا هربا ، راجع :
فالتر ترويبش : احببت فتاة ، ص ٩٥ — ٩٩ .

٩٨ — عن تشويه معنى « الكبت » عند الجمهور . راجع :
Dr. André Berge : L'Enfant au caractère difficile, p. 117, Hachette, 1970.

٩٩ — راجع :
S. Freud : Métapsychologie.
Albert Plé : op. cit., pp. 57-67.

١٠٠ — راجع :
Articles «refoulement» et «répression» in Laplanche et Pontalis : Vocabulaire de la psychanalyse, Presses universitaires de France, 1967.
C.G. Jung : Psychologie et Education, p. 79, Ed. Buchet-Chastel, 1963.
C.G. Jung : Psychologie et Religion, pp. 150-159, id., 1961.
Charles Baudouin : L'Ame enfantine et la psychanalyse, Tome 2, p. 9, Ed. Delachaux et Niestlé, 1951.
W. Daim : Transvaluation de la psychanalyse, pp. 169-170.
Dr. Charles Odier : Les deux sources consciente et inconsciente de la vie morale, pp. 231-236, Ed. de la Baconnière, Neuchâtel, 1947.
R. Gleason et G. Hagmaier : Direction, Education et Psychopathologie, pp. 44-47.
Jean-Paul Charrier : L'Inconscient et la Psychanalyse, pp. 40-41.
André Alsteens : Dialogue et Sexualité, p. 23.
Denise Saada : L'Héritage de Freud, pp. 81-82.

١٠١ — يقول فرويد : « ... ان الجزع يوجد الكبت ... » .
S. Freud : Nouvelles Conférences sur la Psychanalyse, p. 118, «Idées», Gallimard, 1971.

راجع ايضا :
S. Freud : Inhibition, Symptôme et Angoisse, pp. 27-29, pp. 89-92, PUF, 1968.

١٠٢ — راجع :
Charles Baudouin : L'Ame et l'Action, pp. 34-35, Ed. du Mont-Blanc, Genève.
انها ، برأي فرويد ، عبارة عن « ضبط آلي للانزعاج » .

S. Freud : De la Psychothérapie (1904), p. 20, in La Technique Psychanalytique, P.U.F., 1970.

وقد بين فرويد ان الكبت ثمرة غلو في تقدير الذات ، له طابع طفولي . اما ضبط النفس فيفترض ان يعترف المرء بحدوده ونقائصه وان يضطلع بها . راجع :

S. Freud : Pour introduire le narcissisme (1914), p. 98, in La Vie sexuelle, PUF, 1970.

١٠٣ — يقول فرويد :

« انه (اي « الانا » او « الذات ») يفضح ... ضعفه بتخليه ، بفعل الكبت ، عن جزء من تنظيمه الدفاعي ، وبتسليمه بأن يرى دوما النزعة الغريزية بمأمن من تأثيره » .

S. Freud : Nouvelles Conférences sur la Psychanalyse, p. 123.

وفي موضع آخر يقول :

« لا يسعنا ان نضبط نزعاتنا الغريزية الا اذا استخدمنا أرقى طاقاتنا النفسية ، تلك التي ترتبط دوما بحالة الوعي » . راجع :

S. Freud : De la Psychothérapie, p. 20, in La Technique psychanalytique.

١٠٤ — راجع :

S. Freud : Cinq leçons sur la psychanalyse, pp. 29-30, 63-64.

S. Freud : Introduction à la Psychanalyse, pp. 409-411, P.B.P., 1962.

Victor Smirnoff : La psychanalyse de l'enfant, pp. 265-266.

Dr. Hesnard : in «Esprit», novembre 1960, p. 1803.

Claude Geets : Psychanalyse et Morale sexuelle, pp. 103-105, 112.

Selma H. Fraiberg : Les Années magiques, pp. 30-32.

يقول فرويد :

« ... انه (اي التحليل) يستبدل الكبت ، الذي هو عملية آلية ومتطرفة ، بضبط ملائم ومعتدل للغرائز يمارس بمساعدة ارقى القوى النفسية ، مختصر القول انه يستبدل الكبت بالشجب » .

S. Freud : Le Petit Hans (1909), in Cinq Psychanalyses, p. 196, P.U.F., 1954.

وفي موضع آخر يقول :

« ان نهجا كهذا (اي العلاج بالتحليل النفسي) يتوصل الى ازالة الصراعات والعصابات . فتارة يقر المريض بانه اخطأ بكبته الرغبة التي سببت المرض ويقبل تلك الرغبة كليا او جزئيا ، وطورا توجه الرغبة عينها نحو هدف ارقى ولهذا السبب اقل قابلية للانتقاد

(هذا ما اسميه اعلاء الرغبة) ، وتارة يعترف المرء بانه كان محقا برفضه الرغبة ، ولكنه يستبدل اوالية الكبت الآلية ، وبالتالي غير الكافية ، بحكم شجب خلقي يصدر بمساعدة ارقى الصعد الروحية في الانسان ، وبالتالي ينتصر على الرغبة (بعد ان يبرزها) في وضح النهار » .

S. Freud : Cinq leçons sur la Psychanalyse, pp. 29-30.

ويقول جان — بول شارييه بصدد التحليل النفسي :

« بالزامنا انفسنا على التحدث عما نعيشه ، على تسميته ، نعتاد على « تحويل الصراعات الى روايات récits » ، على حد تعبير لاغاش ، وعلى ضبط عنف المشاعر الغريزية ، عوض ان نكتفي بتحملها على غير وعي لمصدر آلامنا » .

Jean-Paul Charrier : La sexualité : fonction ou conduite ? p. 204, in Sexualité et Chasteté, «Christus», No. 66, tome 17, avril 1970.

راجع ايضا :

S. Lebovici et M. Soulé : La Connaissance de l'Enfant par la Psychanalyse, p. 126, P.U.F., 1970.

Georges Philippe Brabant : Clefs pour la Psychanalyse, pp. 185-186.

Georges Mauco : L'Inconscient et la Psychologie de l'Enfant, p. 171.

١٠٥ — راجع :

Carl Rogers : Le Développement de la personne, pp. 49-51, cité par Dr. Jacques Sarano : Connaissance de soi, Connaissance d'autrui, p. 97.

١٠٦ — ان المواجهة الحقيقية للجنس لا تتم اذا كان هناك تهرب من الانفعال الذي لا بد وان تثيره النزعة الجنسية ، انها لا تتم الا من خلال المرور بهذا الانفعال بغية تعهده وضبطه . هذا ما يوضحه دومينيك برتران بقوله :

« لا يسع (الفكر) ان يسبق الشعور ليضع له قواعد ، ولا يسعه ايضا ان يهرب منه . عليه ان ينمو ضمنه . انه « فكر قلبي » ، على حد تعبير بيار عمانوئيل » .

Dominique Bertrand : Pour une chasteté humaine, p. 214, in Sexualité et Chasteté, «Christus», No. 66, tome 17, avril 1970.

١٠٧ — راجع :

Henry Tavoillot : Une expérience d'éducation sexuelle, p. 48, Aubier-Montaigne, 1969.

Marc Oraison : L'Harmonie du Couple humain, pp. 27-29, Les Editions Ouvrières, 1968.

Les Lettres d'amour de François et d'Antoinette, pp. 117-121, Les Editions Ouvrières, 1967.

١٠٨ — راجع :

S. Freud : Analyse terminée et Analyse interminable, cité par A. Plé : op. cit., p. 80.

يقول فرويد في موضع آخر :

« ان « الأنا » ينمو انطلاقا من ادراك الغريزة حتى ضبطها ، ولكنه لا يتوصل الى هذا الضبط الا عند ترتيب ممثل الغريزة في ترابط اوسع ، عند ضمه الى مجموعة » .

S. Freud : Les Diverses instances de la personnalité psychique, pp. 102-103, in Nouvelles Conférences sur la Psychanalyse, «Idées», Gallimard, 1971.

وقد ورد في كتاب عن التربية الجنسية اصدرته منظمة « مدرسة الوالدين » في فرنسا ، ما يلي :

« ان المشكلة التي تطرح بأكثر حدة على الشبيبة — وعلى الراشد ايضا — انما هي مشكلة دمج الغرائز في الشخصية . ان الجنس لا يهدد الفرد حقيقة الا اذا لم يندمج بشكل طبيعي في حياته العاطفية بل ظهر كقوة لا يستطيع مراقبتها وتسيطر عليه بشكل لا معقول » .

Ecole des Parents : Cette éducation sexuelle qui vous fait peur, pp. 242-243, Stock, 1974.

راجع ايضا :

Dr. André Berge : La Sexualité aujourd'hui, pp. 118-119, Casterman, 1970.

١٠٩ — راجع :

Dr. Louis Corman : L'Examen psychologique d'un enfant, pp. 61-62, pp. 74-75, 103, 146, 238-239, Ed. Charles Dessart, Bruxelles, 1968.

R. Osborn : Marxisme et Psychanalyse, p. 57.

Dr. S. Lebovici, in La Sexualité, «Esprit», nov. 1960, p. 1944.

١١٠ — يقول فرويد :

« ... ما يلفت النظر في النزعات الغريزية الجنسية هو مرونتها ... » .

S. Freud : Nouvelles Conférences sur la Psychanalyse, p. 128.

١١١ — راجع :

S. Freud : «Civilized» sexual morality and modern Nervous Illness, cité par A. Plé, p. 124, p. 138, note 36.

١١٢ — راجع :

Dr. Jean-G. Lemaire : Les conflits conjugaux, pp.

206-207.

يقول فرويد :

« انها (اي الغريزة الجنسية عند الانسان) تضع تحت تصرف العمل الحضاري كمية عجيبة من القوى ، وذلك يعود ، على الارجح ، الى الميزة البارزة فيها بشكل خاص ، الا وهي القدرة على نقل هدفها دون ان تفقد شيئا اساسيا من قوتها » .

S. Freud : La Morale sexuelle civilisée et la Maladie nerveuse des temps modernes, p. 33, in La Vie sexuelle, PUF, 1970.

وفي كتابه « خمس دروس في التحليل النفسي » ، يقول :

« ان الميول التي تتكون منها الغريزة الجنسية تتميز بالضبط بهذه الاهلية الى الاعلاء : ان غايتها الجنسية تستبدل بهدف ارقى وذات قيمة اجتماعية اكبر . ان اشرف مكاسب الفكر البشري انما تعود الى الغنى النفسي الناتج من عملية الاعلاء هذه » .

S. Freud : Cinq leçons sur la Psychanalyse, p. 64.

وفي كتابه « ضيق في الحضارة » ، يقول :

« ان اعلاء الغرائز هو من ابرز سمات النمو الحضاري ، فهو الذي يسمح للنشاطات النفسية الراقية ، من علمية وفنية وفكرية بأن تلعب دورا هاما بهذا المقدار في حياة الكائنات المتحضرة » .

S. Freud : Malaise dans la Civilisation, p. 39, Revue Française de Psychanalyse, janvier 1970, pp. 9-80.

ويقول المحلل النفسي جورج موكو :

« ان الطاقة الجنسية تتفرغ بشكل طبيعي في الاتحاد الجنسي بين جسدين ، ذلك الاتحاد الذي يبلغ ملئه في الانتعاظ الجنسي (اي ذروة النشوة الجنسية) . ولكن ... الطاقة الجنسية عند الانسان هي ايضا وخاصة علاقة حب و ... بوسعها ان تنتقل الى مواضيع متنوعة . امكانية النقل هذه هي التي تسمح بتوظيف الطاقة الجنسية في نشاطات متعددة » .

Georges Mauco : Les Célibataires, p. 135.

ويضيف :

« ... بقدرته على الاعلاء ، يتمتع الانسان بميزة تجريد طاقته الجنسية عن طابعها الغريزي (...) وهكذا تنفتح الانسانية على الحضارة وعلى تجاوز الحيوانية الغريزية » .

G. Mauco : op. cit., p. 141.

١١٣ ــ راجع :

S. Freud : «Civilized» Sexual Morality..., cité par A. Plé : op. cit., p. 116.

١١٤ ــ راجع :

S. Freud : Le Moi et le ça, in Essais de Psychanalyse,

p. 217.

١١٥ — راجع :

S. Freud : La Dynamique du transfert, in De la technique psychanalytique, p. 57, cité par A. Plé : op. cit., p. 124.

١١٦ — راجع :

Charles Baudouin : l'Ame et l'Action, p. 175.

١١٧ — يقول جورج موكو :

« ... هذا الاعلاء يبقى وظيفة للاوعي اكثر منه فعل ارادة حرة وواعية » .

Georges Mauco : op. cit., pp. 141-142.

١١٨ — يقول فرويد :

« ان سياق الاعلاء ، وهو في طريقه عند كل شخص قادر على الاعلاء ، يتحقق من ذاته فور رفع الكوابت » .

S. Freud : Conseils aux médecins sur le traitement analytique (1912), p. 70, in La Technique psychanalytique, PUF, 1970.

وفي موضع آخر يقول :

« ... قد ينشأ الاعلاء من سياق خاص يعيقه الكبت » .

S. Freud : «Un enfant est battu». Contribution à la connaissance de la genèse des perversions sexuelles (1919), pp. 221-222, in Névrose, Psychose et Perversion, PUF, 1973.

١١٩ — راجع جورج خضر : العفة نار ، حديث الاحد ، ص ٢٣٢ — ٢٣٣ ، منشورات النور ، بيروت ١٩٧٠ .

يقول المُفكر الارثوذكسي الفرنسي اوليفيه كليمان متحدثا الى الطيب الذكر البطريرك اثيناغوراس :

« ما ينبغي ان نقدمه لعمل الحضارة ، هو خبرة تحويل خلاق للجنس éros . في هذا المنظار ، يمكن تصور الاديرة على انها بمثابة مختبرات يحتاج اليها المجتمع حاجته الى مختبرات البحث العلمي او الى مشاغل الفنانين ! » .

Olivier Clément : Dialogues avec le patriarche Athénagoras, p. 239, Fayard, 1969.

ويقول كريستيان ده لاكامباني :

« لقد كان فرويد يزعم ان الدين ينشأ عن كبت الجنس . يبدو بالاحرى ، في كل حقبات التاريخ ، ان كبت الواحد ملازم لكبت الآخر » .

ويقدم ، مثلا على ذلك ، المجتمع البورجوازي حيث يقترن رفض القدسية le sacré ، بقمع للجنس اتخذ في الماضي شكل الطهرية ويتخذ الآن شكل « الحرية الجنسية » التي تبتر الجنس

مما يعطيه عمقه وكثافته . راجع :

Christian Delacampagne : Antipsychiatrie. Les voies du sacré, p. 128, Grasset, 1974.

١٢٠ — راجع :

François Mauriac : La Vie de Racine, p. 175, coll. «10-18», Union générale d'éditions, Paris, 1962.

١٢١ — راجع :

Guy de Larigaudie : Etoile au grand large, p. 14, Ed. du Seuil, Paris, 1947.

١٢٢ — يوحنا السلمي : سلم الفضائل ، الدرجة الخامسة ، راجع نشرة دير مار جرجس الحرف ، العدد ١٨ ، شباط ١٩٦٥ ، ص ٢٣ .

١٢٣ — راجع :

St. Maxime le Confesseur : Le Mystere du salut, pp. 80-82, Ed. du Soleil Levant, Namur, 1965.

١٢٤ — راجع :

H. de Lubac : Athéisme et Sens de l'homme, p. 123, coll. «Foi vivante», Ed. du Cerf, 1968.

١٢٥ — راجع :

Lanza del Vasto : Vinôbâ ou le Nouveau Pélerinage, p. 160, Ed. Denoêl, 1959.

١٢٦ — راجع :

J.A. Hadfield : L'Enfance et l'Adolescence, p. 173.

١٢٧ — راجع :

P. Teilhard de Chardin : L'Esprit de la terre, VI. 40, cité in «Ensemble», 6e série, fiche No. 6, p. 4.

١٢٨ — راجع :

P. Teilhard de Chardin : L'Evolution de la chasteté, cité in op. cit.

Gregory Zilboorg : Sigmund Freud et l'activité mentale de l'homme, pp. 145-146, Ed. du Cerf, Paris, 1957.

١٢٩ — يقول اوسفالت كوله :

« مدة عشرين سنة او اكثر ، يربون شباب مجتمعنا على هذا المفهوم أن الجنس هو شيء مناف للأخلاق ، ثم يطلب منهم فجأة ان يتمتعوا بحرية بما كان يبدو حتى ذلك الحين فاسدا الى حد ما » .

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, p. 74, Robert Laffont, 1970.

١٣٠ — راجع مجلة « النور » — ٣١ كانون الثاني ١٩٦٣ — ص ٢٦ .

١٣١ — راجع :

S. Freud : «Civilized» Sexual Morality and Modern Nervous Illness, cité par A. Plé : op. cit., p. 130.

يقول فرويد :

« كلما قوي الاستعداد للعصاب عند شخص ما ، كلما قل احتماله للأمساك (او التعفف) ، فالنزعات الغريزيسة الجزئية (اي ما يسبق منها الاكتمال الجنسي ، كالنزعة الفمية والشرجية وما شابههما) التي تملصت من النمو الطبيعي (...) اصبح كبحها اعسر ، من جراء ذلك بالضبط » .

S. Freud : La Morale sexuelle civilisée et la Maladie nerveuse des temps modernes, p. 38, in La Vie sexuelle.

١٣٢ — في عرضه لأحد التحاليل النفسية التي قام بها ، والمعروف بتحليل « رجل الذئاب » ، يتحدث فرويد عن مصير نزعة جنسية مثلية ذات مصدر طفولي تتبعها عند معالجه ، فيقول :

« ان التيار الجنسي (...) الذي كان يفرض فيه ان يعلى (...) لم يعد حرا ، بل كان معزولا جزئيا بفعل الكبت ، وبالتالي متملصا من الاعلاء ، متجمدا في تعلقه ، بهدفه الجنسي الاصلي » .

S. Freud : Extrait de l'histoire d'une névrose infantile (L'Homme aux Loups) (1918), p. 416, in Cinq Psychanalyses, PUF, 1954.

١٣٣ — تقول مونيك غونو :

« ان الطاقة التي تولدها الميول الجنسية قابلة للاعلاء : ان المراهقين الذين لا يعيشون حياة جنسية مفرطة الحرية هم الذين ينصبون على تهيئة الامتحانات ، ويجاهدون للدفاع عن فكرة او نشرها ، او للوصول الى مثل اعلى ، او للأهتمام بقضايا الانسانية الكبرى . يوجد عند هؤلاء سخاء لا يصادف عند الذين يعيشون في امساك مستلهم من تحريم متزمت للجنس » .

Monique Gueneau : L'Enfant et son désir d'aimer, p. 63, Le Centurion, 1971.

١٣٤ — راجع :

Hélène Deutsch : Problèmes de l'adolescence, pp. 22-24.

١٣٥ — راجع :

Hélène Deutsch : op. cit., p. 23.

راجع ايضا :

Dr. René Spitz, cité par Anne-Marie Rocheblave-Spenlé : L'Adolescent et son monde, p. 118.

هناك لا شك مشكلة ناتجة عن الفاصل الكبير (من ١٠ الى ٢٠ سنة) الحاصل في المجتمع الحديث بين نضج جنسي اصبح يتم ابكر مما قبل واستقلال اقتصادي يحصل عليه الشباب في سن

متأخرة عن السابق . راجع :

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte. Les Etapes de la vie affective et sexuelle, pp. 181-184, Le Centurion, 1971.

راجع ايضا :

S. Freud : La Morale sexuelle civilisée et la maladie nerveuse des temps modernes, p. 40.

١٣٦ — يقول فيزي Giese ، احد الاخصائيين في شؤون الجنس :

« عندما لا يعود الشريك يدرك على انه ند ، بل كما لو كان مجرد شخص صوري يكتفي بأن يكون هنا ، واداة للمتعة ، عند ذاك نقترب مما يمكن تسميته ، في عصرنا ، شذوذاً » . راجع :

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, p. 274.

راجع ايضا (ما سبق وذكرناه) :

George Sand : Histoire de ma Vie, tome 4, p. 291, cité par André Maurois : Lélia ou la Vie de George Sand, pp. 246-247.

١٣٧ — يوضح المفكر الارثوذكسي الفرنسي اوليفيه كليمان كيف ان الزهاد المسيحيين الشرقيين فهموا العفة على انها اكتمال الكيان وتوحيده :

« يحصل الاكتمال والعفة الحقة بالضبط عندما تحل كل جسامة الحياة داخل لقاء حقيقي ، عندما يحتوي الحنان الهوى » .

Olivier Clément : Dialogues avec le patriarche Athénagoras, p. 166.

ويقول المفكر نفسه في كتاب آخر :

« العفة هي دمج الجنس éros في لقاء حقيقي لكي يكون الحب شاسعا كالحياة ، ولكي تجد الحياة معنى وسلاما وحنانا في اشراق الوجوه ... » .

Guy Riobé : La Liberté du Christ. Entretiens avec Olivier Clément, p. 54, Ed. Stock-Cerf, 1975.

١٣٨ — يقول احد ابطال الروائي الانكليزي الشهير شارل مورغان :

« لا أعتبر افراح الحب الجسدية خطيئة ، ولكنها تصبح خيانة مميتة كل ما كان الفرد مهووسا بقبول هذه المتع او بالرغبة فيها » .

Charles Morgan : Fontaine, p. 235, Le Livre de poche.

١٣٩ — راجع مجلة « النور » — ١٥ شباط ١٩٦٣ — ص ٣٧ .

١٤٠ — راجع مجلة « النور » ، ١٥ شباط ١٩٦٣ ، ص ٣٧ — ٣٨ .

يقول اوسفالت كوله :

« من المؤكد ان كثيرا من الرجال يقومون بالجماع بتسرع

مفرط ، بشكل شبه لا شخصي ودون ان يفكروا سوى بلذتهم الذاتية . ان ثلاثة ارباع كل الرجال يبلغون الانتعاظ في مهلة دقيقتين بعد بدء العلاقات الجنسية (كينسي) . ان هذه الفترة من الزمن لا تكفي المرأة المتوسطة لبلوغ الارضاء ... » .

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, p. 228, p. 374.

وفي موضع آخر يوضح الكاتب ما ينبغي ان يكون الموقف السليم :

« بفعل ارادة ، يلزم الرجل نفسه بأن لا يهتم بشكل حصري ودائم بمتعته الخاصة وبأن يركز كليا على شريكته » .

O. Kolle : op. cit., p. 215.

١٤١ — راجع :

Jean Guitton : L'Amour humain, p. 114, Ed. Aubier-Montaigne, Paris, 1955.

Dr. Bernard Muldworf : L'Adultère, pp. 97-98, Casterman, 1970.

Les Lettres d'Amour de François et d'Antoinette, pp. 172-173.

١٤٢ — تقول ماري تيريز فان ايكوت :

« ... ان الجنس الانساني يطبع بشكل عميق وجوهري الشخص بكامله . ان جنسنا ليس محصورا البتة في اعضائنا التناسلية . انه بالعكس مسجل في خلايانا ؛ في دماغنا ؛ في فكرنا ، في مشاعرنا ، في كياننا كله . اننا مشكلون به ومتشبعون بالهورمونات الجنسية .

« ان نشاط اعضائنا التناسلية ليس سوى تعبير محلي وظرفي عن حالة عامة كامنة هي وضعنا الذكوري او الانثوي .

« صحيح ان الجنس يحوي الوظيفة الجنسية ، ولكنه يتجاوزها بكثير اذ يعني الشخص كله (...) .

« ان الجنس (...) يحدد ، حتى بالاستقلال عن كل تعبير وظائفي ، ليس فقط سلوكنا بل وخاصة نمط وجودنا الشخصي . اننا نتجه نحو العالم كرجل او كامرأة ، معبرين عن انفسنا في وحدتنا وتكاملنا » .

Marie-Thérèse Van Eeckhout : Nos enfants devant la sexualité, pp. 9-10, Casterman, 1966.

راجع ايضا :

Karl Stern : Refus de la femme, pp. 15-40.

١٤٣ — يقول ارنست ال :

« ... ان موقف المربين من الجسد من شأنه ان يؤثر ... عميقا في علاقة الطفل بجسده الذاتي » .

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte. Les Etapes de la vie affective et sexuelle, p. 34.

١٤٤ ــ راجع :

Irène Lézine : Psychopédagogie du premier âge, pp. 154-155.

عن اكتشاف الطفل المبكر للجنس وعن المواقف الوالدية تجاه هذا الاكتشاف ، راجع :

Marc Oraison : L'Harmonie du Couple humain, pp. 16-17.

١٤٥ ــ راجع :

Dr. André Berge : La Sexualité aujourd'hui, pp. 21-36, Casterman, 1970.

١٤٦ ــ لقد كتب هنري انجلمان : « يقال ان ٨٠ ٪ من الوالدين الفرنسيين لا يجسرون على ان يتحدثوا بأنفسهم الى اولادهم عن شؤون الحب ، كأن الموضوع ممنوع ، وكأن مجرد الخوض به مخجل ... » .

H. Engelmann : J'ai perdu la foi, p. 110, Ed. Fayard, Paris, 1966.

فما هي يا ترى ، نسبة الوالدين الذين يسلكون هكذا في شرقنا ؟

اليكم بعض الاحصاءات في هذا المضمار .

فقد ورد في كتاب اصدرته حديثاً « مدرسة الوالدين » في فرنسا عن التربية الجنسية :

« ... في تحقيق اجري مع ٧٠٠ عنصر من الشباب ، كان كلهم ، ما عدا واحد فقط ، يأسفون ان لا يكون والدوهم قد اطلعوهم بأنفسهم على اسرار الحياة ، بصورة تدريجية وكاملة » .

Ecole des Parents : Cette éducation sexuelle qui vous fait peur, p. 241, Stock, 1974.

وقد كتبت الدكتورة فرنسواز بينازي ــ مارتي في كتابها عن « الام واليقظة الجنسية عند طفلها » :

« هل انقضى زمن الصمت العائلي هذا حول امور الجنس ؟ كلا ، ولكنه في حالة تطور ، كما تشير نتائج تحقيق اجراه الدكتور له مول (١٩٦٢) :

فقد أجابت ٦٩ ٪ من النساء ان تربيتهن الجنسية تركت للصدفة .

٤٨ ٪ منهن يعتبرن ان العلاقة الجنسية آثمة ، مخجلة او منفرة .

٤٠ ٪ يقدرن انه لو اعطيت لهن تربية جنسية افضل لكانت حياتهن الزوجية احسن مما هي عليه .

٩٠ ٪ يعتبرن ان التربية الجنسية امر لا يستغنى عنه .
٥٨ ٪ من الأمهات اجبن عن الاسئلة التي كان يطرحها اطفالهن عليهن .
٢٥ ٪ من الامهات اخذن مبادرة تجاه صمت الطفل .
٦٧ ٪ يتذرعن للدفاع عن انفسهن بالحياء الذي يشعرن به في هذا المجال » .
وتضيف الكاتبة :
« اننا نجد هذه النتائج بنسب متشابهة بضعة سنين بعد ذلك (١٩٦٨) بمناسبة تحقيق اجرته المجلة الاسبوعية Elle :
فهناك امهات ، لم يتلقين لأنفسهن اعلاما جنسيا ، يأسفن على ذلك ، ويعتقدن ان التربية الجنسية ، لو اعطيت لهن ، كان من شأنها أن تزيد من حظهن في النجاح الزوجي ، ويتمنين ان يفدن منها اولادهن ، الا ان عدداً منهن فقط سيتوصل الى ذلك ، بسبب الضيق الكبير الذي ما زلن يشعرن به في هذا الميدان الذي بقي محميا لفترة طويلة من الزمن » .

Dr. Françoise Bénazet-Marty : La Mère et l'Eveil sexuel de son enfant, pp. 61-62, Centurion-Grasset, 1972.

راجع ايضا الارقام التي يقدمهـا اوسفالت كوله مشفوعة بشواهد مؤلمة :

Oswalt Kolle : Ta femme, cette inconnue, p. 13, p. 25, pp. 33-34.

وهاك احصاء جرى في لبنان :
« لقد اجرينا ، مع ١١٧ شابا من الصفين الثاني والثالث من المرحلة المتوسطة ، تحقيقا حول التربية الجنسية :
« ٨٦ من اصل هذا العدد ، اي ٧٣ ٪ ، تلقوا الاعلام الجنسي من رفاق يكبرونهم بقليل ، ١٥ ، اي ١٢ ٪ ، تلقوا هذا الاعلام من والديهم . ١٤ ، اي ١١،٩ ٪ ، لم يتلقوا اي اعلام البتة » .

«L'Orient», 16 décembre 1967.

١٤٧ ــ نذكر بما وجده الدكتور له مول في تحقيق اجراه سنة ١٩٦١ ، من أن ٤٨ ٪ من النساء اللواتي استجوبهن كن يعتبرن ان العلاقة الجنسية آثمة ، مخجلة او منفرة . راجع :

Dr. Françoise Bénazet-Marty : op. cit., p. 61.

١٤٨ ــ يتحدث الروائي الفرنسي الكبير جوليان غرين في مذكراته عن الأثر الذي تركه في نفسه الموقف السلبي الذي كانت تقفه والدته من الجسد في طفولته :
« الجسد ... كانت تقول هذه العبارة بطريقة جعلتني اتردد في استعمالها حتى سن الخامسة او السادسة عشرة ، كما لو كانت تشير الى شيء مخجل » .

Julien Green : Partir avant le jour, p. 84, Grasset, Paris, 1963.

وتذكر المحللة النفسية الفرنسية الدكتوره فرنسواز دولتو كيف يصدم الاولاد من جراء الكلمات التحقيرية التي يتفوه بها الوالدون بصدد عضوهم التناسلي (« قذر » ، « غير جميل » ...) . راجع :

Dr. Françoise Dolto : Le Cas Dominique, p. 234.

ويقول أ.س. نايل :

« قليلة هي الزيجات السعيدة . واذا اخذنا بعين الاعتبار التربية التي تتلقاها اغلبية اطفالنا ، نتعجب ان لا يكون عدد الزيجات التعيسة اكبر مما هو بالفعل . عندما يكون الجنس قذرا في الطفولة الاولى ، لا يمكنه ان يكون نظيفا في المضجع الزوجي » .

A.S. Neill : Libres enfants de Summerhill, p. 194.

ويظهر الكاتب نفسه كيف ان القمع ، مع انه يؤول الى كبت اهتمام الطفل بالجنس ، يهيج فيه هذا الاهتمام بآن واحد :

« يكتشف الطفل يديه ، وانفه ، واصابع رجليه ، فتطلق امه صيحات فرح . ولكنه ، عندما يكتشف اعضاءه التناسلية ، تسرع الأم في ابعاد يده عنها . ان النتيجة الاولى لهذا التصرف ، هي اعطاء هذه الاعضاء اقصى الاهمية » .

A.S. Neill : op. cit., p. 316.

راجع ايضا :

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, pp. 101-102.

١٤٩ — راجع :

Marlène Leist : L'Enfant et Dieu, pp. 51-62, Ed. Desclée, Tournai, 1970.

Dr. André Berge : L'Education sexuelle et affective.

لنا شاهد على ذلك في مذكرات سيمون ده بوفوار : اذ نرى من جهة ان التربية الامومية المتزمتة ربطت عند سيمون ده بوفوار بين الجسد والخطيئة ، ومن جهة اخرى ، وبالتوازن ، ان رفض الله كان مرتبطا بيقظة الجسد عند سيمون المراهقة .

Simone de Beauvoir : Mémoires d'une jeune fille rangée, Le Livre de poche, Paris, 1964.

ومن جهة اخرى ، فان كبت الطاقة الجنسية قد يجمد نمو الحياة العاطفية وبالتالي قد يسبب جفاف الشعور الديني عينه . لقد كتب المحلل النفسي الفرنسي الشهير ، الدكتور رينه لافورغ ، بهذا الصدد :

« ... ان نمو الشعور الديني عند الجنسين يبدو مرتبطا بشكل حميم بنمو الاحساس .

« كثيرا ما نعاين في عيادتنا نساء يشكين من برودة كلية في المجال الجنسي (...) ولكنهن ، عموما ، في هذه الحالات ، يشكين

ايضا من انه يستحيل عليهن ان يشعرن بأي ايمان ، وخاصة من تربى منهن وفقا لتقليد ديني . فالصلوات كلها تبدو لهن فارغة من المعنى ، والطقوس الدينية كأنها شيء آلي . ليس لهن اي شعور ديني . تستطعن تحريك شفاههن والسير في زياح ، في الظاهر ، كباقي الناس ، ولكنهن عاجزات عن الاشتراك به بقلبهن .

« في تلك الحالات ، نلاحظ في كل مرة تقريبا وجود عائق عطل بشكل خطير ، منذ الطفولة ، نمو الاحساس » .

Dr. René Laforgue : La Foi et l'Equilibre psychique de l'homme (1953), p. 121, in Au-delà du Scientisme, Mont-Blanc, Genève, 1963.

١٥٠ — يقول العالم البيولوجي الدكتور بول شوشار .

« ليكون الانسان حرا ، عليه أن يتعلم كيف يضبط نفسه » .

Dr. Paul Chauchard : Connaissance et Maîtrise de la Mémoire, p. 223, Marabout, 1970.

١٥١ — يقول الدكتور توردجمان ان الدماغ القديم (هيبوتالموس ، مسيخ الأنف rhinencéphale) « لا يمثل عند الانسان سوى ١٤ ٪ من مجموعة كتلة الدماغ بينما هو بنسبة ٨٩ ٪ عند الجرذ مثلا » .

Gilbert Tordjman : Clefs pour la Sexologie, p. 101.

١٥٢ — راجع :

Dr. Paul Chauchard : Le Cerveau et la Conscience, pp. 128-131, Ed. du Seuil, Paris, 1960.

راجع ايضا : اسئلة الشباب حول العفة ، ص ٢٣ — ٢٥ .

يقول الدكتور توردجمان :

« ان الدماغ الجديد néencéphale (اي المراكز الدماغية العليا النامية عند الانسان بشكل خاص) ، دماغ الوعي الارادي ، والكلام والتفاكر . يدمج التيارات الجنسية الصادرة عن الدماغ القديم في مجمل شخصية الفرد (...) ان الانسان ، خلافا للحيوان ، ليس مستعبدا بشكل لاارادي لغرائزه » . راجع :

Gilbert Tordjman : Clefs pour la Sexologie, pp. 98-101.

راجع ايضا :

Dr. Paul Chauchard : Connaissance et Maîtrise de la Mémoire, p. 76, p. 97 note 26.

Dr. Denis Wallon : Les Ages de l'Enfant, tome 2, 3 à 11 ans, pp. 97-100, 103-104.

١٥٣ — راجع :

Les Lettres d'Amour de François et d'Antoinette, pp. 73-76, Les Editions Ouvrières, 1967.

١٥٤ ــ « المطلوب ... ليس البتة كبح نمو طاقة الحب ، بل بالعكس المساعدة على انمائها ، اذ ان نموها بالذات هو الـــذي يضبطها .

« ذلك ان الحب غير المتطور يبقى ذاتي المركز égocentrique . انه لا يأخذ الآخر بعين الاعتبار : ان الفرد في هذه الحال لا يرى في هذا الآخر سوى اداة للمتعة الشخصية . انما المرء في الحب ليس وحده معنيا ... والا لا يكون هذا الحب كاملا وراشـــدا (... ان التربية الجنسية ، كالتربية عامة (التي لا تكاد تتميز عنها) . يجب ان تستهدف قبل كل شيء قيادة الطفل حتى حالة الرشد . علما بأننا نعطي لكلمة رشد معنى كاملا يعطيها قيمة حقيقية » .

Ecole des Parents : Cette éducation sexuelle qui vous fait peur, p. 243, Stock, 1974.

راجع ايضا :

Dr. André Berge : L'Education sexuelle, dialogue familial, p. 12, in Le Groupe familial, No. 54, janvier 1972.

١٥٥ ــ « كل تربية للسلوك الجنسي لا يمكن ان تكون تلقين بالمعنى الصحيح ، بل انفتاحا للقاء الآخر ... » .

Furter : La Vie morale de l'adolescent, Delachaux et Niestlé, 1965, cité par Edouard Breuse : La Coéducation dans les écoles mixtes, p. 131, PUF, 1970.

ويقول مارك اوريزون :

« بالمحبة يمكن للعفة ان تقوم » . راجع :

Marc Oraison : L'Harmonie du Couple humain, p. 78.

١٥٦ ــ تقول المعالجة النفسية الالمانية مرلين لايست :

« فقط الطفل المقتنع بأنه موضوع حب يمكنه ان يكون هو نفسه قادرا على ان يحب الغير » .

Marlène Leist : L'Education sexuelle de votre enfant, p. 134, Bloud et Gay, 1972.

ويقول المحلل النفسي السويسري مانغ :

« ان المحبة الحقة ، امان المحبة الـــذي يعطيـــه « العش » . البيت العائلي ، انما هي من اهم العناصر لاطـــلاق حب القـــريب والانسانية : انها صلة الوصل بين الانا والانت والنحن » .

Heinrich Meng : Contrainte et Liberté dans l'éducation. La sanction dans la relation éducative, p. 199, Privat, Toulouse, 1968.

وتوضح مرلين لايست ان هذا الحب الذي ينبغي ان يحاط به الطفل لينمو ويصبح قادرا على الحب يجب ان يعبر عنه بأخذ حاجه الطفل الى اللذة بعين الاعتبار : لذة الملاطفات الامومية والاحتكاك بجسد الأم ، لذة الامتصاص ، لذة الافراز . راجع :

Marlène Leist : op. cit., pp. 53-56.

احاطة الولد بهذا الحب المحيي تبدأ منذ اول عهده بالحياة ، وتبدأ معها بالتالي تربيته الجنسية . تقول اوديت تيبو بهذا الصدد :

« ان التربية الجنسية تبدأ في المهد ، هذا اوضح ما يستنتج من اعمال فرويد ! » .

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, p. 71.

وتقول بياتريس ماربو كليرنس :

« من اجل انه احب في هذا العمر (اي اشهر الحياة الاولى) ، سوف يستطيع الراشد ان يحب ملء الحب ، ان يحب ليس فقط من اجل نفسه بل من اجل الآخر ايضا » .

Béatrice Marbeau-Cleirens : Psychologie des Mères, p. 173, Editions Universitaires, 1967.

وتلعب الرضاعة دورا هاما من هذا القبيل . فان رضاعة ناجحة من ثدي الام تسهل اتصال الطفل بالكون كما يوضح المحلل النفسي الانكليزي وينيكوت :

« في نهاية رضاعة ناجحة من الثدي ، يمكن للأم ان تقول انها وضعت الف مرة ثديها قرب الطفل ، في نفس اللحظة التي كان الطفل يرغب فيها بشيء . انها اعطته بهذه الطريقة مبررا للاعتقاد بان الكون مكان يوجد فيه للمرء امل بأن يجد ما يوازي ما ينتظره ويتخيله ويحتاج اليه . شيئا فشيئا ، يتوصل الطفل الى اقامة علاقة مع اشياء خارجية » . راجع :

Dr. D.W. Winnicott : L'Enfant et sa famille, pp. 136-137, PBP, 1971.

وفي موضع آخر يقول بصدد الرضاعة :

« ان تكيف الام المحسوس ... مع حاجات الطفل ابرز عنده فكرة الكون على انه مكان صالح . لقد كان العالم (في شخص الام) يتوجه للقاء الطفل ، بشكل ان الطفل اصبح بأمكانه مقابل ذلك ان يخرج (من ذاته) ليتوجه الى العالم » .

Dr. D.W. Winnicott : op. cit., p. 92.

راجع ايضا :

Dr. D.W. Winnicott : op. cit., pp. 162-163.

Marie-Claude Boisbourdain : L'Attachement du petit enfant, p. 16, in L'Ecole des Parents, novembre 1973.

١٥٧ — من جهة اخرى يجب التنويه الى ان الحب الزوجي بين الوالدين عنصر اساسي في تربية الحب عند الاطفال . راجع :

Denise Stagnara : Qui nous répondra ? pp. 67-71, Ed. du Chalet, 1971.

وتلاحظ جاكلين بيرجريه ان حياء في غير موضعه كثيرا ما يمنع

الوالدين اليوم من ان يظهرا لاولادهما حبهما احدهما للآخر . فبحرمانهما من شهادة من شأنها ان تلعب دورا اساسيا في تربيتهم الجنسية .

Jacqueline Bergeret : Suite pour Eve. La Femme et sa Psychanalyse, pp. 210-213, Le Centurion, 1973.

١٥٨ ــ راجع :

Dr. André Berge : Le Métier de parent, p. 152.

١٥٩ ــ راجع :

Hans Zulliger : Chapardeurs et Jeunes Voleurs, Ed. Bloud et Gay, Paris, 1969, pp. 62-64.

يقول جورج موكو :

« ان الطفل غير المحبوب كما ينبغي ، سواء من جراء نقص او افراط ، او الذي عاش بين زوج والدي غير منسجم ، قد يجد صعوبة. اذا اصبح راشدا ، في ان يحيا حياة زوج couple في الزواج . هنا يحمل الاولاد اثر جزع وعدم اطمئنان الوالدين » .

Georges Mauco : Les Célibataires, p. 208.

راجع ايضا :

Joachim Bodamer : Sexualité, Amour et Névrose, p. 76, Labor et Fides, 1970.

١٦٠ ــ راجع :

Bernard Muldworf : Le Métier de père, pp. 116-117, 144-145, Casterman, 1972.

S. Lebovici et M. Soulé : La Connaissance de l'Enfant par la Psychanalyse, p. 445.

Dr. André Berge : Le Métier de parent, p. 158.

١٦١ ــ يقول فرويد :

« ينبغي للتربية ... ان تجد طريقها بين خطر التساهل المفرط وخطر التحريم (...) ينبغي تقرير ما يجب تحريمه ، ومن ثم في اي وقت وبأية وسيلة يجب ان يتم هذا التحريم . بالاضافة الى ذلك ، لا يجب ان ننسى ان الشخصيات المختلفة التي علينا ان نؤثر فيها انما تحمل استعدادات وراثية مختلفة ، لذا فان سلوك المربي لا يجب ان يكون هو هو بالنسبة لكل الاولاد (...) ان نعرف الميزات الوراثية التي يحملها الطفل ، ان نحزر ، بفضل دلائل دقيقة ، ما يجري في نفسه التي لم تكتمل بعد ، ان نظهر له دون افراط الحب المتوجب له مع احتفاظنا بالسلطة الضرورية ، تلك هي المهمة الصعبة التي تفرض ذاتها على المربي ... » . راجع :

S. Freud : Nouvelles Conférences sur la Psychanalyse, pp. 196-197.

راجع ايضا :

Dr. André Berge : Le Métier de parent, pp. 141-143.
Dr. Denis Wallon : Les Ages de l'Enfant, t. 2, 3 à 11 ans, pp. 136-137.
S. Lebovici et M. Soulé : La Connaissance de l'Enfant par la Psychanalyse, pp. 444-447.

١٦٢ — حول خبرة ناجحة في حقل التربية الجنسية المدرسية ، راجع :

Henry Tavoillot : Une expérience d'éducation sexuelle, Aubier-Montaigne, 1969.

وبصدد التربية الجنسية في المحيط المدرسي ، كوسيلة لاكتشاف الحب الحقيقي ، راجع خبرة دينيز ستاغنارا :

Denise Stagnara : Qui nous répondra ?, pp. 73-84.

١٦٣ — راجع :

Jacques Drouet : Ecole et Sexualité, Les Editions Ouvrières, Paris, 1972.

١٦٤ — راجع : كوستي بندلي : هل يجب ادخال التربية الجنسية الى المدارس ؟ « نداء الشمال » ، العدد ٣١٨ ، ٢٠ نيسان ١٩٧٠ ، ص ١ و ٤ .

راجع ايضا ما يقوله الدكتور لاوو كونز ، وهو مدير مدرسة الماني اشرك الطلاب في المسؤوليات وافسح امامهم مجال المساهمة الفعالة في احياء كافة النشاطات المدرسية :

Dr. Léo Kunz : Quand les élèves participent aux responsabilités, pp. 36-37, Les Editions ouvrières, 1970.

١٦٥ — راجع :

Paul Foulquié : Les Ecoles Nouvelles, Presses Universitaires de France.
Dr. Gérard Mendel : La Révolte contre le père, pp. 149-163.
Dr. Léo Kunz : op. cit.

١٦٦ — كوستي بندلي : المقال نفسه .

١٦٧ — راجع :

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, pp 178-179.

١٦٨ — راجع :

Elisabeth Huguenin : La Coéducation des sexes, Ed. Delachaux et Niestlé, Neuchâtel et Paris, 1929.
Situation du problème de la mixité, Ed. Feuilles familiales — Vie ouvrière, Bruxelles, 1964.

في موضوع الاختلاط واهميته وشروط نجاحه وكيفية تأمينه ، راجع :

كوستي بندلي : مع تساؤلات الشباب (منشورات النور ، بيروت ، ١٩٧٣) .

وتقول دينيز ستاغنارا ، وهي اخصائية في التربية الجنسية المدرسية ، ان موقف الوالدين من هذا الاختلاط مهم ايضا في تحديد نوعيته . راجع :

Denise Stagnara : Qui nous répondra ?, pp. 55-56.

١٦٩ — راجع :

Dr. André Berge : La Sexualité aujourd'hui, pp. 37-56, Casterman, 1970.

Edouard Breuse : La Coéducation dans les écoles mixtes, P.U.F., Paris, 1970.

١٧٠ — راجع :

Dr. Léo Kunz : op. cit., p. 37.

١٧١ — كوستي بندلي : المقال نفسه .

١٧٢ — راجع :

Marc Oraison : Tête dure, p. 149, Ed. du Seuil, Paris, 1969.

١٧٣ — كما انها تثير اهتماما مفرطا — مع انه مكبوت — بالجنس . يقول ا.س. نايل :

« انها (اي التربية الدينية المتزمتة) هي التي تعطي الجنس اهميته المفرطة » .

A.S. Neill : Libres enfants de Summerhill, p. 318.

١٧٤ — راجع :

Marc Oraison : Amour ou Contrainte, Ed. Spes.

Marc Oraison : Une Morale pour notre temps, Ed. Fayard, Paris, 1965.

١٧٥ — راجع :

Jean Cardonnel : Du bon Dieu au Dieu vivant, p. 129, Ed. de l'Epi, 1963.

١٧٦ — راجع :

André Manaranche : Je crois en Jésus-Christ aujourd'hui, pp. 92-93, Ed. du Seuil, Paris, 1968.

Paul Evdokimov : Les Ages de la vie spirituelle, p. 150, Ed. Desclée de Brouwer, Bruges, 1964.

Paul Evdokimov : Sacrement de l'Amour, p. 216.

Jean-Claude Barreau : La Foi d'un païen, p. 21.

Pierre Emmanuel : L'Ouvrier de la onzième heure, pp. 81-82, Ed. du Seuil, Paris, 1953.

Bruno Lagrange et Marc Oraison : Ailleurs existe... La Résurrection, pp. 123-124, Fayard, 1969.

Arthur Michael Ramsey : Dieu, le Christ et le monde, pp. 97-98.

الارشمندريت الياس مرقص : الحياة الرهبانية كممتدة الى

الآخرة ، الى الله . (« النور » ، آب ١٩٦٥ ، ص ١٧١ — ١٧٣) .
الارشمندريت جورج خضر : التوبة في الكنيســـة الشرقية . (« النور » ، حزيران ١٩٦٧ ، ص ٢٣٤) .

١٧٧ —

cité par P Evdokimov : Les Ages de la vie spirituelle, p. 230.

١٧٨ — راجع :

Dr. André Berge : L'Education sexuelle et affective.